مكتبتنا العربية

رجب سنة ١٣٧١ المجلد الثالث والعشرون

١٠٨

مجلة الأزهر

تصدر شهريا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

المجلد الثالث والعشرون

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدي بك

الاشتراك السنوى
٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر الله

ثمن العدد ٤٠ مليما

ادارة المجلة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

التفسير

من

البقرة

للفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حامد محمد

عضو جماعة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون »

جاءت الآية هكذا بدون عاطف لأنها جواب سؤال نشأ من الآية السابقة ، إذ ذكر حال المنافقين وأن يقولوا آمنا وما هم بمؤمنين يثير فى نفس السامعين استفهاما عما يدعو هؤلاء لمثل تلك الحال المضطربة والحياة القلقة المقامة على الكذب والمحاولة فكان جواب هذا السؤال أنهم إنما يحاولون بذلك مخادعة الله والمؤمنين جهلا منهم بشأن ربهم وصفات خالقهم . وجيء بالفعل من باب المفاعلة ، إشارة إلى أنهم ظنوا بجهالتهم أن الله ليس عليما بذات صدورهم ، ولا بما تنطوى عليه نفوسهم من كفر وسوء نية وانتظار للفرص التى تمكنهم من إساءة رسول الله ومن معه من المؤمنين ، ولكن الله العليم بالسر وأخفى ، قد علم طوياتهم وخفى نواياهم ، وإنما أمهلهم ولم يعجل مؤاخذتهم لتتم حكمة الله وما أراد للمؤمنين من تعرف الاحتياطات وأخذ الحذر من هؤلاء . إذ فى ذلك تمرين على الدوران

مكتبتنا العربية

مع شئون المجتمع اللازم لإحكام سياسة الناس وتدبير شئونهم فهم يخدعون الله جهلا وهو خادعهم علما وحكمة .

هذا سر المجيء بصيغة المفاعلة فى جانب الله ، أما سره فى جانب المؤمنين إذ أنهم فى الآية معطوفون على لفظ الجلالة ، فذلك لأن المؤمنين كانوا هم الآخرون يعلمون من شأن المنافقين ما عرفوا به أنهم كاذبون فيما يزعمون ، وإنما يقولون بألسنتهم الإيمان ويخفون فى أنفسهم الكفر تقية من المؤمنين ومحافظة على أنفسهم وتحصيلا لأغراضهم فى الحياة .

فى هذه القراءة التى جيء فيها بصيغة المفاعلة تطمين للمؤمنين وتهدئة لخواطرهم حين يعلمون أن الله محيط بشأن هؤلاء سرهم وعلانيتهم ، وإن كان المؤمنون على يقين من أن الله عليم بما يبدون وما يخفون ، إلا أن فى التصريح بذلك تطمينا لهم كما جاء فى شأن إبراهيم حين طلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى فقال له : أو لم تؤمن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى .

وجاءت الآية فى قراءة أخرى بصيغة الفعل المجرد فقرئت يخدعون لتصوير ما هم عليه من جهالة مع تصوير مبلغ مكر الله بهم ، وألا يكون هناك لفت لهم إلى واقع الأمر مما قد ينبههم إلى إبداء كفرهم وإظهاره ، الأمر الذى قد يكثر مظهر الكافرين فى أعين المؤمنين ، فقد يكون فى تقليل مظهرهم حكمة هى تشجيع المؤمنين على بناء دولة الإسلام فى قوة ، حتى يكثر عدد المسلمين وتقوى شوكتهم ، وإذ ذاك يصارحونهم بحقيقة أمرهم ويدفعونهم إلى الشقة الأخرى — شقة الكافرين — .

وقد جاء على كلا القراءتين يخادعون ، ويخدعون — وما يخدعون إلا أنفسهم إيذانا بأن هؤلاء قد اشتد ظلام نفوسهم وقوى تغليف قلوبهم ، حتى جهلوا أنهم فيما يحاولون من ضرر إنما يلحقون الضرر بأنفسهم ، يظنون أنهم يخدعون غيرهم ولا يدرون أنهم يخدعون أنفسهم .

وإذا أنت نظرت إلى عطف قوله وما يشعرون على قوله وما يخدعون إلا أنفسهم وضح لك تصوير ما هم فيه من عمى وصمم ، إذ أن نفى الشعور عنهم تصوير لما نزلوا إليه من جهالة ، إذ فقدان الشعور إنما يكون بفقدان الحواس .

مكتبتنا العربية

وإذا عمى الشخص وصمت أذناه وانعقد لسانه — إذا فقد وسائل الإحساس لا محالة يتضاعف جهله وتعمق غفلته ويبعد عن الجادة .

ألا ترى أن المرء إذا لم يسمع قولة حق ولم يبصر آية ولم يناقش بلسانه شبهة — ألا ترى أنه يكون حجرا أصم خلا عن مظاهر الإنسانية ولبس أثواب الحيوانية المشقية ، والذاهبة به إلى أسفل الدركات وأحلك الظلمات فلا حجة تقنعه ولا برهان عن غيه يرجعه بل هو أصم أبكم أعمى لا يعقل .

بقى أنه فى الآية لم يجئ بالخادعة إلا فى جانب الله والذين آمنوا ولم يجئ فى الآية ذكر الرسول كأن يقول يخادعون الله والرسول والذين آمنوا . ولعل الحكمة فى ذلك أن مخادعة الله مخادعة لرسول الله لأنه هو الذى بعثه إليهم وهو المبلغ عن الله أحكامه وتشريعه وإرشاده ، يؤيد هذا مثل قوله تعالى « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » وقوله « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وقد يكون السر فى ذلك أن المنافقين إنما دفعهم إلى كذبهم ومخادعتهم هو اتقاء المؤاخذة ، وهم يعلمون أن الرسول وحده قد لا يلحق بهم أذى فهم إنما يرتقبون الأذى من مجموعة المؤمنين والرسول أول المؤمنين ، فيكون ذلك تصويرا لمثار خوفهم وناحية اتقائهم . وإلى ذلك تصوير وحدة الرسول ومن تبعه ، وأنها وحدة رباطها الإيمان . ليس فيها حاكم ولا محكوم ، وإنما الجميع يعتصمون بحبل الله ، فهم فى نظر غيرهم مستورون . وفى ذلك إيذان ببطلان ما هم عليه من شرعة التفاوت بين الأفراد .

من هذا يفهم من الآية تصوير ما هم عليه من جهل بلغوا به حد أن يخادعوا ربهم وبلغوا به حد أن يخادعوا مخالطيهم ومن هم يسمع منهم ومرأى . يعلمون من قسمات وجوههم حين يلتونهم ومن لحن ألسنتهم حين يخاطبونهم ومن إشاحة وجوههم حين ينطقون بحق أمامهم — يعلمون من ذلك كله بعض ما هم عليه من مزاعم وافتراءات . إن لم يعلموا جميعها — وذلك أحط ما ينزل إليه المرء من دركات الجهالة ، الأمر الذى سيجزون عليه أن يكونوا فى أسفل درك من النار ، ولو كانوا

يشعرون بعض الشعور لأدركوا أنهم يؤذون أنفسهم . ولكن نسج عليهم عمى قلوبهم وظلام نفوسهم حوائط سميكة لا ينفذ منها نور الحق إلى قلوبهم ولا نسيم الرشاد إلى نفوسهم فصاروا يؤذون أنفسهم ثم لا يشعرون بأذاها ولا يتألمون لكلمها بأيديهم . وهكذا كل من أعماه هواه وغرق فى أمواج الباطل ، وحاطه الغرض من كل نواحيه ، يسير على غير الجادة ، ويتجه إلى باطل الغاية ، يرتطم فى وهاد الأوحال ، ويصطدم فى هضاب الخاوف ، ولكن قسوة قلبه جعلته لا يرده اصطدام ولا يرجعه ارتطام . ولن ترى آفة للمجتمع أضر به من آفة النفاق ، فالمنافقون حشرات المجتمع ، وهم تحت الأبصار ، وذنابه حين يغيبون عن الأنظار ، ولو أتيح لمجتمع أن يطهر من أقذار المنافقين وأوساخ المخادعين لرأيت أفراده هادئين وادعين كأنما هم فى جنات النعيم .

ويقول تعالى بعد هذه الآية « فى قلوبهم مرض الخ » هكذا بدون عطف لصلتها بالآية قبلها ، فإنك حين تسمع قوله تعالى « وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » تنور نفسك نحو السؤال عن حال أناس يلحقون الضرر بأنفسهم غير شاعرين ، وتعجب كيف يلحق إنسان بنفسه الضرر ثم هو لا يشعر به ، ويكون الجواب المهدىء لثورة السامعين والذاهب بعجب السائلين ، أن يقال إن هؤلاء لا يشعرون بأذى أنفسهم بأنفسهم ، قد مرضت قلوبهم ، فقيل : فى قلوبهم مرض ، وترى الأسلوب قد صور مرض قلوبهم تصويراً لا يكون معه إلى قلوبهم سبيل لحق ، أو طريق لرشاد ، فقال (فى قلوبهم) وجعل القلوب ظرفا للمرض ، كناية عن تمكن المرض من قلوبهم ، والمرض ، إن كان حقيقة فيما يعرض للأجسام مما يعيبها أو يعجزها أو يختل معه نظامها ، إلا أنه هنا مستعمل على طريقة المجاز ، مراد به ما اختلت به قلوبهم من فساد العقيدة ، ومتابعة الباطل من التقاليد ، وظلمة الفتنة المحيطة بقلوبهم ، مما يعيبها أو يتحول بها عن التفكير الصحيح ، والتعقل المنتج ، مما حاد بهم عن الجادة ، لا تنبههم أشواك ما فى

مكتبتنا العربية

اعوجاجهم ، ولا أوحال ما فى طريقهم ، فكان ما أصاب قلوبهم شبيها بما يعرض للأجسام من أمراض ، وإذا مرضت القلوب فإن مشاعر المرء تصبح عديمة الفائدة فإنه إن سمع حقاً فقلبه المريض لا يفقهه ، وإن رأى آية فقلبه المريض لا يفهمها ، وإن سمع حجة فلسانه الأبكم لا يحاول جدلا فيها حتى يفهمها . لذا حكم عليهم بأنهم لا يشعرون ، لأن مشاعر المرء هى الوسائل الموصلة إلى القلوب قضايا الحق ، ومقدمات العلم ؛ فإذا تعطلت أداة الاستنتاج وآلة الفهم والتفكير فلا جرم تكون الحواس ، وهى وسائل وصول المقدمات وأسباب العلم إلى القلوب ، معطلة ، وهم غير شاعرين .

وهكذا كل قلب تولاه الهوى ، وحاطه الغرض ، وأظلم أفقه بليالى الفتنة ، لا يمكن أن تقنعه ببرهان ، أو ترده عن غيه بحجة ، أو تلويه عن اعوجاجه بدليل ، يسمع وكأنه لا يسمع ، ويبصر وكأنه لم يبصر ، ويتكلم وكأنه لم ينطق . ولن ترى داء للمجتمع وآفة للبيئات أفتك من هذا الفريق ، فريق المنافقين ، يطفئون نور الحجة من المحتجين ، ويشوهون جمال البرهان من المستدلين . فكم قصر صاحب حق بنفاق هؤلاء عن إقامة حجته ، وتقشيع السحاب عن برهانه وآيته .

ومن ذلك نعلم أن مرض القلوب أضر من مرض الأجسام ، فقد يؤدى مريض الجسم للمجتمع فوائد ومنافع . أما هؤلاء فإنهم الهدامون لما بنى المصلحون والمطفئون لما أنار المرشدون . فاللهم طهر منهم المجتمع ليعيش الناس هادئين مطمئنين .

ولما كان لله فى كونه وخلقه سنن لا تتبدل ، وكان من سننه أن المريض إذا لم يعالج مرضه ، أو استمر فى أسباب مرضه دون أن يتنحى عنها زاد لا محالة مرضه ، كذلك مرضى القلوب . فإنهم إذا لم يبعدوا بأنفسهم عن الهوى ، ولم يكبحوا جماحها عن الفتنة ، ولم يرفعوا أنفسهم عن مهاوى الغرض ، فإن قلوبهم لا محالة تتضاعف ظلماتها ، وتتكثر قسوتها . وتسمك حوائط منع نفاذ الحق إليها ؛ فلا جرم إذا لم تعالج القلوب زاد مرضها ، وهى بمقتضى ما وضع الله من سنن زيادة من الله لمرضها . لذا قال : « فزادهم الله مرضاً » بنسبة الزيادة إلى الله .

ولما كان قوله « فزادهم الله مرضا » أسلوباً يذكر الفاء قد يفهم منه أن ذلك هو جزاؤهم ، وفهم ذلك لا يردهم عن غى ، ولا يفزع لهم قلوباً ، ولا يقرع لهم نفوساً ، عطف عليه قوله « ولهم عذاب أليم » ليبين أن ليس جزاء صنيعهم أن يزداد مرض قلوبهم فحسب ، بل إن لهم بعد ذلك عذاباً أليما . وإنما وصف العذاب بالألم ولم يصفه بالعظم كما سبق فى شأن الكافرين ، لأن هؤلاء قد حاطوا أنفسهم بظلام حالك ، ونزلوا بها عن مستوى الحياة المعتادة إلى درك فقدوا فيه مشاعرهم ، فلا تردعهم الكميات ، ولكن قد توقظهم الكيفيات ، لذلك وصف العذاب بكونه أليماً دون أن يصفه بكونه عظيما أو كثيراً .

ثم بين أن سبب ذلك الجزاء إنما هو كونهم كاذبين ، لأن هذا الفريق - فريق المنافقين - أخص صفاته وأكبر جرائمه هو الكذب ، يقولون آمنا وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم ، فحياتهم حياة مضطربة دون حياة الكافرين الذين جهروا بكفرهم ، ولم يخفوا ما انطوت عليه قلوبهم ، فعاشوا فى الحياة صفاً بارزاً يقابل صف المؤمنين . أما هؤلاء المنافقون فما أتعب حياتهم ، وما أشقاهم فى معيشتهم ، وما أذلهم إذ يترددون بين الفريقين ، يبدون لهؤلاء أنهم معهم ، ولهؤلاء أنهم معهم : عيش مضطرب ، وحياة ذليلة ، ونزول إلى الظلمات وسافل الأمكنة ، مما جزاهم الله عليه جزاء عدل ، أن يكونوا فى الآخرة كما اختاروا لأنفسهم فى الدنيا ، فى الدرك الأسفل من النار .

وما أحقهم أن يخصوا بأعنف جزاء ، وأن يلحق بهم أفظع العذاب ، وأن يكونوا حتى وهم معذبون أسفل من الناس الذين معهم فى النار .

فالمنافقون يأيها الناس ؛ أذل الناس فى الدنيا ، وأذلهم فى الآخرة . ألا فلتكرموا أنفسكم ، ولتلبسوها أثواب العزة ، ومعاطف الكرامة بإبعادها عن تلك الصفة الرذيلة . صفة النفاق .

اللهم وفقنا لتطهير أنفسنا ، وإعزازها بالإيمان الصادق ، فأنت ذو الفضل العظيم .

مكتبتنا العربية

مبادىء القانون الدولى العام

فى الاسلام

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

الدكتور محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

تعريب البحث الذى وضعه فضيلته باللغة الفرنسية ، تلبية لطلب الجمعية المصرية للقانون الدولى

يكاد يتفق علماء التشريع فى الغرب ، ويتابعهم كثير من الشرقيين ، على أن فكرة القانون الدولى العام ، فكرة حديثة العهد ، ابتدعتها أوروبا فى العصر الأخير .

هذا الحكم صحيح فى الجملة ، ويلوح لنا أنه غير قابل للجدل والمناقشة ، ما دمنا نبعد بموضوعه عن محيط التاريخ الإسلامى ؛ فالنظام الدولى فى الحقيقة لم يكن معروفا خارج هذا المحيط ، لا فى العصر القديم اليونانى والرومانى ، ولا فى العصور الدينية الأولى فى اليهودية والمسيحية .

أما العصور الدينية المذكورة فمن الميسور أن نتبين فيها هذا الفراغ ، وأن ندرك أسبابه ؛ ذلك أنه حين تأسيس هاتين الديانتين لم يكن أمامهما علاقات دولية تتطلب هذا التشريع ، فكان كل نشاطهما مركزا فى بث الدعوة الدينية فى نطاق محلى محدود ، نعم إن نشر الدعوة الموسوية فى بنى إسرائيل ، لم يلبث أن حمل هذا الشعب على الهجرة ، وجعله يتصل بأمة مجاورة . غير أن هذه الصلة الوقتية لم تكن إلا صراعا خاطفا ، انتهى إلى استئصال شأفة تلك الأمة وحلوله محلها ، ولم يترك لنا التاريخ بيان القواعد التى بنى عليها هذا الصراع والتحول .

وأما العصور اليونانية والرومانية القديمة فإن خلوها من هذا التشريع مرده إلى أسباب تختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليست المسألة مسألة انقطاع الصلة بين هاتين الدولتين وبين العالم الخارجى ؛ إذ أن تلك العلاقات الخارجية لم تعوز

مكتبتنا العربية

هاتين الدولتين يوماً ما ، ولكن نظرتهما نفسها إلى الحياة لم تكن لتسمح لهما بوضع تشريع كهذا ؛ ذلك أن فكرة القانون الدولى تفترض قبل كل شيء الاعتراف بضرب من المساواة ، واشتراك المصالح ، وتبادل الحقوق والواجبات بين مختلف الأمم ؛ وهذا لم يكن ليتفق والنظريات اليونانية والرومانية . فأما قدماء اليونان فإنهم ، وإن كانوا يتعاملون فيما بينهم على قدم المساواة أو يكادون - على رغم الصراع الدائم بين مملكتى أسبارطة وأثينا - كانوا ينظرون إلى الشعوب غير اليونانية نظرتهم إلى كائنات حقيرة دنيئة ؛ حتى إن أرسطو كان يرى أن البرابرة (ويعنى بهم الأجانب) ما خلقوا إلا ليقرعوا بالعصا ويسلبوا ويستعبدوا ، وكذلك كان الأمر فى التشريع الرومانى ، فإنه لم يكتف بأن وضع نوعين متباينين من القوانين ، أحدهما : القانون المدنى للمواطنين ؛ والآخر قانون الشعوب لسكان البلاد الممتلكة ، بل إنه لم يكن يعرف فى الصلات الخارجية إلا قانون القوة الباطشة ، فلم يجعل للأمم الأخرى حقاً فى دفاعها عن نفسها ، ولا فى أمنها ودعتها ، وإنما كان دستورها فى نظره : « العبودية أو الفناء » ، وإذا كان قد اتفق لروما فى بعض الأحيان أن وضعت معاهدات سلمية على وجه دون وجه ، فلم يكن ذلك راجعا إلى أن هناك قانونا يقضى بهذا الشرط المعين أو ذاك ، بل كان مصدره محض التفضل ، أو السعى وراء الأغراض والمنافع .

ولو أنا بحثنا فكرة القانون الدولى فى أوربا فى العصور الحديثة ما وجدنا كبير فرق بينها وبين تلك العصور الأولى ، على رغم التقدم الفعلى فى تدوين قواعد هذا التشريع العام ؛ ذلك أن فكرة تساوى الناس أمام القانون - تلك الفكرة التى طالما طالبت بها الشعوب وتشدقت بها الحكومات - لم تتخذ بعد فى نظر الغربيين صبغة القانون العام الشامل ، ألم يقل : « استورات ميل » باستحالة تطبيق القانون على الشعوب الهمجية ؟ أو لم يحدد « لوريمير » على وجه الأرض مناطق ثلاثا تخضع كل منها لقانون مختلف ؟ فالعالم المتمدين يجب أن يتمتع فى نظره بحقوق سياسية كاملة ، والعالم نصف المتمدين يكفى أن يتمتع بحقوق سياسية جزئية ، بينما الشعوب غير المتحضرة ليس لها إلا حقوق عرفية لا تحمل إلزاما قانونيا ، وجاء ميثاق « عصبة الأمم » بعد الحرب العالمية الأولى ، فأقر هذا التقسيم الثلاثى وأكسبه سلطة القانون ، بل لقد فرق فى قلب المدنيات الأوربية نفسها بين الحقوق

مكتبتنا العربية

السياسية للدول الكبرى والدول الصغرى . وأيا ما كان فإن منظمة السلام هذه لم تحظر غزو منشوريا ، ولا فتح بلاد الحبشة . وأخيراً شكلت (جمعية الأمم المتحدة) بعد الحرب العالمية الثانية ، فماذا رأينا ؟ أليس روح التفريق وعدم المساواة لا يزال مسيطراً فيها على عتمل السادة الذين يتحكمون فى مصير الإنسانية؟ إنه لا حاجة بنا إلى محاولة إقامة البرهان على ذلك : فهذه الحوادث التى تجرى تحت سمعنا وبصرنا وهذه الحلول العوجاء التى تطبق عليها فى أحضان هذه الجمعية الحديثة ، تنطق ـ بأفصح بيان ـ بأن الضعفاء والمظلومين الذين كانوا يبنون آمالهم على مثل هذه المؤسسات لم ينلهم حتى الآن إلا حسرات تتلوها حسرات .

* * *

إذا أردنا أن نظفر بتشريع دولى عام يصطبغ بالصبغة العالمية الحقيقية ، فعلينا أن نصعد بذاكرتنا إلى عصر رسول الإسلام .

كلنا نعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام لبث زهاء عشر سنين فى اتصال دائم بأمم وديانات مختلفة ، معادية طورا ، ومسالمة طورا . وطبيعى أن هذه الظروف الخاصة التى جعلت الإسلام سلطانا زمنيا وحكما عالميا ـ إلى جانب كونه عقيدة روحية ، ومبدأ أخلاقياً ـ كانت تقتضيه أن يضع تشريعا لقانون السلم والحرب بين الأمم . فماذا فعل ؟ وهل كانت إجابته لهذه الحاجة الملحة شافية لغلة المتشرعين ، مرضية للضمائر السليمة لدى الحكماء وذوى الخلق الكريم ؟

لا شك أن دراسة مستوعبة لهذه الناحية من التشريع الإسلامى تتطلب بحثا عميقا لا للعهود والأقضية النبوية وحدها ، بل للمعاهدات التى وضعها الخلفاء والملوك الإسلاميون أيضا فى غضون التاريخ ؛ ولكنه ليس من غرضنا فى هذا المقال أن نجعل مجال بحثنا بهذه المثابة من السعة والاستقصاء ؛ وكل ما يعنينا الآن هو أن نستخلص ما فى القرآن والسنة النبوية من المبادىء الأساسية ، والخطوط الرئيسية فى هذا الشأن .

— ١ —

تصحيح خطأ مشهور

وقبل كل شىء يجب أن نصحح خطأ ذائعاً فى الأوساط الأوربية ، وهو زعم أن الشعوب الإسلامية يباح لها ـ بل يجب عليها امتثالا لدستورها الدينى ـ

أن تحمل السلاح لإكراه الناس على الإسلام ، وسحق الشعوب الأخرى التى لا تعتنق هذا الدين .

لئن كان هذا الرأى حقا ، لقد وجب أن تمحى كلمة « القانون الدولى » من التشريع الإسلامى ؛ إذ لا يبقى لها فيه مدلول تشير إليه ، ولا يبقى لغير المسلمين أمامه حق يطالبون فيه بحريتهم ولا بحياتهم .

ولكن الرجوع إلى نصوص القرآن الكريم ، يكشف لنا عن الحقيقة التى تخالف هذا الزعم على خط مستقيم ، فالقرآن لا يكتفى بأن يحظر حظراً أدبياً كل محاولة لإكراه الناس على الإيمان : « لا إكراه فى الدين » (سورة ٢ آية ٢٥٦) بل يتمرر أنه من المستحيل وقوعياً أن يسيطر على العالم دين واحد : « ولا يزالون مختلفين » (١١ : ١١٨) « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » (١٢ : ١٠٣) ألا تكون محاولة فرض عقيدة واحدة على الناس — والحالة هذه — ضربا من التناقض والإحالة الظاهرة ؟ إن القرآن لم يفته أن يبرز ما فى هذه الغاية الطموحة من غرور خداع ، وذلك حيث يقول : « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (١٠ : ٩٩) .

ومن هنا نرى كتاب الإسلام المطهر يحدد رسالة نبيه بأدق ما يكون من عبارات الحصر والتحديد ، مبينا أن مهمته إنما هى الموعظة والتذكير : « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر » (٨٨ : ٢١ ، ٢٢) ؛ بل إن هذه الدعوة السليمة نفسها لم يتركها القرآن حتى رسم حدودها وطريقتها ، وأوجب أن تؤدى بأكرم أسلوب ، ومن ألطف طريق « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (١٦ : ١٢٥) « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » (٦ : ١٠٨) « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » (٢٩ : ٤٦) .

سيقول قائل : سلمنا أن كل إكراه دينى يجب أن يستبعد من أهداف الإسلام ، فما الذى يمنع أن يكون من بين هذه الأهداف فكرة الفتح والتوسع ،

مكتبتنا العربية

السنة :

ورع المتقين

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد التواب
المفتش العام للوعظ بالأزهر

عن عطية بن عروة السعدى الصحابى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس » رواه الترمذى وقال حديث حسن ...

لرسول هذه الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من جمال التوجيه ، وبالغ الحكمة ، فى روعة المعنى ، وجزالة اللفظ ، نواح اختصه الله بها ، فآتاه من هداه

التى يكون المسلمون قد دفعوا إليها بسبب من الأسباب الأخرى : كداعية الثروة الاقتصادية أو الاستعلاء السياسى ، أو غير ذلك ؟

فلندع القرآن يقدم لنا الجواب عن هذا السؤال ، وها هو ذا يقول : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً » (٢٨ : ٨٢) .

هكذا يقضى القرآن فى حزم على تلك الروح الاستعمارية الجبروتية ، وبوجه عام على تلك النزعة المادية المتطرفة ، التى انتشرت انتشاراً وبائياً فى عصرنا هذا ، والتى هى المنبع الأول لكل ما نشكو منه الآن .

ولكن هل نأخذ من كل ما تقدم أن الحروب ليس لها وجود قانونى فى نظر الإسلام ؟

هيهات ، فها هى ذى نصوص القرآن ، لا تجعل الجهاد عملا فاضلا فحسب ، بل تعده غالباً من الواجبات الأولية .

فالسؤال الذى يجب وضعه الآن هو هذا : ما الأحوال والشروط التى يبرر بها الإسلام اتخاذ تلك المواقف الحربية ، ويجعلها حقاً مشروعا ؟

[للبحث بقية]

مكتبتنا العربية

السنة :

ورع المتقين

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد التواب
المفتش العام للوعظ بالأزهر

عن عطية بن عروة السعدى الصحابى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس » رواه الترمذى وقال حديث حسن ...

لرسول هذه الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من جمال التوجيه ، وبالغ الحكمة ، فى روعة المعنى ، وجزالة اللفظ ، نواح اختصه الله بها ، فآتاه من هداه

التى يكون المسلمون قد دفعوا إليها بسبب من الأسباب الأخرى : كداعية الثروة الاقتصادية أو الاستعلاء السياسى ، أو غير ذلك ؟

فلندع القرآن يقدم لنا الجواب عن هذا السؤال ، وها هو ذا يقول : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً » (٢٨ : ٨٢) .

هكذا يقضى القرآن فى حزم على تلك الروح الاستعمارية الجبروتية ، وبوجه عام على تلك النزعة المادية المتطرفة ، التى انتشرت انتشاراً وبائياً فى عصرنا هذا ، والتى هى المنبع الأول لكل ما نشكو منه الآن .

ولكن هل نأخذ من كل ما تقدم أن الحروب ليس لها وجود قانونى فى نظر الإسلام ؟

هيهات ، فها هى ذى نصوص القرآن ، لا تجعل الجهاد عملا فاضلا فحسب ، بل تعده غالباً من الواجبات الأولية .

فالسؤال الذى يجب وضعه الآن هو هذا : ما الأحوال والشروط التى يبرر بها الإسلام اتخاذ تلك المواقف الحربية ، ويجعلها حقاً مشروعا ؟

[للبحث بقية]

مكتبتنا العربية

ورشاده ما يهدى به أمة ، ويعمر به دنيا ، ويسعد به أخرى ، فى أسلوب من روائع الحكم ، وجوا مع الكلم ، « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » .

* * *

وصف المتقين فى القرآن الكريم ، وفى السنة المطهرة ، وفيما يتجلى للناس جيلا بعد جيل ، مجموعة من الفضائل والمكرمات ، مظهرها سلامة العقيدة ، وقوة اليقين ، وتقويم العبادة ، وتنظيم المعاملة ، فى سياج من مراقبة الله ومحبة الناس . « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » ، « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، ذلكم هو وصف القرآن الكريم للمتقين .

أما السنة المطهرة ، فإنها تنظم هذا العقد الكريم فى أوامرها الرشيدة ، فيقول الصادق الكريم ، إمام المتقين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

وتبصر الناس ، فى رشد الرأى ، وسلامة الفطرة ، وتحذرهم فتنة الدنيا وإغراءها ، فقد روى عن عمرو بن عوف الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى البحرين ، يأتى بجزيتها ، فقدم بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين ، فقالوا أجل يا رسول الله ، فقال : « أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم) ... متفق عليه .

* * *

مكتبتنا العربية

ولقد يعلم الناس جميعاً أن من وصف المتقين صفاء النفس ، وزكاء الخلق ، وحب الخير ، والاستمساك بكل ما يكسب المرء حمدا ورضوانا ، حمد الناس لما يلمسونه من بر وفضل ، ورضوان الله لما يتقرب به المتقون من طاعة وعمل .

أما جزاء المتقين فى محكم التنزيل ، وأما جزاؤهم فى صحيح السنة ، وأما جزاؤهم فيما يقع بين أسماع الناس وأبصارهم ، فهذا ما ينطق به القرآن الكريم فى قوله تعالى بعد أن ذكر أوصاف المتقين فى سورة آل عمران ، « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .

وفى أول سورة البقرة ، « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » ، وفى سورة النبأ « إن للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وكأساً دهاقا ، لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ، جزاء من ربك عطاء حسابا » .

وهذا ما تعد به السنة الشريفة فى جزاء المتقين ، فى قول صاحب السنة صلى الله عليه وسلم « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، ثم أدوا الأمانة إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » .

وهذا ما يشهده الناس فى جماعة المتقين : إجماع على محبتهم . وإكبار لدعوتهم ، وتكريم شمائلهم بالقدوة والاتباع .

نخلص من ذلك كله إلى أن للمتقين فى أعمالهم وأوصافهم ، وفى مجازاتهم شأنا وأى شأن .

وفى الحديث الذى نحن بصدده يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن العبد لا يبلغ هذه المكانة إلا إذا كان له من ورعه حاجز وحجاب ، لا يحول دون المآثم فحسب ، بل ويحجبه عن فعل ما لا بأس فى فعله ، أو قول ما لا بأس فى قوله ، خشية أن يجره ذلك إلى ما يؤاخذ عليه ، أو يساء به ، أو يشك فيه ، ولا غرو . . فالتقى الورع يكف نفسه وجوارحه عن الشبهات ، ويتطلب السمو والكمالات فى المأمورات ، قال عز وجل « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » وقال تعالى : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

* * *

مكتبتنا العربية

التقى الورع يكف نفسه حتى عن النظرة الأولى خشية أن تؤدى إلى رجع البصر ، أو استدامة النظرة فيقع فيما يحظره الدين .

التقى الورع يمسك لسانه عن فضول القول حتى لا ينزلق لسانه فيردیه .

التقى الورع لا يتسمع إلى اللهو والمجون حتى لا يصل إلى قلبه الطاهر اخلاط غثة ممجوجة ، تكدر نوره وتغشى صفاءه ،

التقى الورع يترك المال الذى لا يستوثق من حله خشية أن يكون فيه غش أو دخل .

التقى الورع أمين فى دينه كريم فى دنياه ، عظيم فى نفسه ، بصير فى حزمه ، متطلع إلى محبة الله وهداه .

التقى الورع يتخذ القدوة من نبل الفضائل وحسن الشمائل متمثلا قول القائل :

إذا أعجبتك خصال امرىء فكنه يكن منك ما يعجبك

فليس على الفضل والمكرمات إذا رمتها حاجب يحجبك

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

وبعد ، فليهنأ المتقون الأبرار بورعهم الأبى ، وحزمهم الرضى .

وليتربعوا فى قلوب الناس مكان الحب والولاء .

وليبلغوا عند الله وعند رسوله ساحة الرضا ومنازل الرضوان .

« إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وفق الله إلى الخير لسعادة الدنيا والآخرة .

والسلام على من اتبع الهدى ؟

مكتبتنا العربية

بهـــــاء الدين السبكى

٧٠٧ / ٧٧٧ هـ — ١٣٠٧ / ١٣٧٥ م

للفضيل الأستاذ الشيخ عبد الله المراغى
مدير المساجد بوزارة الأوقاف

نختم بهذا المقال تراجم السبكيين المصريين الذين شغلت بهم مناصب القضاء حقبة طويلة من الزمن وطلبتهم مناصب الفتيا والقضاء المصرية والشامية فأثبتوا كفاءة ممتازة وكان عندهم معين صاف من العلم يرد الظامئون المتعطشون للإفادة الطالبون لحكم الدين فيما يعرض لهم من حوادث الزمن وما هم فى حاجة إليه من حكم الشريعة الغراء.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وهذا بهاء الدين رابع الثلاثة السبكيين واسمه محمد بن عبد البر بن يحيى بن على ابن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد السبكى المكنى بأبى البقاء كانت ولادته سنة سبع وسبعمائة من الهجرة وتمذهب بمذهب الشافعى كعلماء أسرته.

وأظهر شيخ له نال العلم منه هو ابن عم أبيه تقى الدين السبكى الذى لازمه ملازمة طويلة فى أيام صباه حتى تخرج عليه. ومن شيوخه أيضاً الحجار والدبوسى وعبد الله بن على الصنهاجى والمزى والبرزالى والجزرى وعلاء الدين القونوى والقطب السنباطى.

وقد مهر فى اللغة العربية والفقه والتفسير وأصول الفقه وعلم الكلام.

ولما ثبتت قدمه وتم نضجه العلمى واستولى على زمام العلوم الشرعية وعرف بين أهلها وذويها بالنبوغ واعترف له أقرانه بالتفوق وكمال التحصيل تصدر

مكتبتنا العربية

- على عادة الشيوخ - للتدريس والافتاء فكان ينبوعا عذبا فراتا ينهل منه كل من أراد من طلاب العلم والمعرفة . قال صاحب الدرر الكامنة ، وذكر لى الشيخ شمس الدين بن القطان أنه كان ممن أخذ عنه وأنه كان يضج إذا توجه عليه البحث وغالب من لقيناه كان يبالغ فى وصفه بالتحقيق والحذق ، وكانت له رحلات فى سبيل العلم وخدمة المصلحة العامة فقد دخل الشام مع الشيخ تقى الدين السبكى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وناب عنه فى قضاء الشام . ثم تولى قضاء طرابلس ثم عاد إلى القاهرة وتولى فيها مناصب جليلة فى القضاء فقد ناب عن القاضى عز الدين بن جماعة فى منصبه ثم أضيف اليه قضاء العسكر والنظر فى الاوقاف ثم خلف عز الدين فى وظيفته سنة ست وستين وسبعمائة وظل يباشر شئون منصبه بما عرف عنه من دربة وحذق وكياسة مع إحاطة بشئون الحياة الاجتماعية والدينية ثم فوض اليه بعد ذلك قضاء الشام وظل قاضيا بدمشق إلى حين وفاته .

وقد اعترف له بالفضل العلماء الأفاضل من أهل زمانه فكان الاسنوى يقدمه ويفضله على أهل عصره . وكان العماد الحسبانى يشهد أنه يحفظ الروضة . وكان هو يقول عن نفسه أعرف عشرين علماً لم يسألنى عنها بالقاهرة أحد .

وقد أثنى عليه الذهبى ووصفه بأوصاف المبرزين فى العلم الحاذقين لدقائق المسائل الغائصين فى بحار العلوم والمعارف .

وقال عنه ابن حبيب : شيخ الإسلام وبهاؤه ومصباح أفق الحكم وضياؤه وشمس الشريعة وبدرها وحبر العلوم وبحرها كان إماما فى المذهب طرازا لردائه المذهب رأساً لذوى الرياسة والرتب حجة فى التفسير واللغة والنحو والأدب ثقة فى الأصول والفروع قدوة لأرباب السجود والركوع مشهورا فى البلاد والأمصار سالكا طريق من سلف من سالفة الأنصار درس وأفاد وهدى بفتاويه إلى سبيل الرشاد .

مكتبتنا العربية

وهذه شهادة من ثقة تدل دلالة لاريب فيها على أن مترجمنا قد حاز الأوصاف التى تليق بالأئمة العلماء العاملين الذين يزكون عن علمهم ويطهرون أنفسهم ويسخون بما وهبهم الله تعالى من تفقه فى الدين فهم يجودون بما حوته قلوبهم من معارف وإرشاد لكل من قرع بابهم وطلب منهم النوال من أحكام شرعية وتوجيهات دينية . وأن تنقله بين الشام ومصر وتعدد وظائفه فى القضاء لدليل واضح على صلاحيته لأعباء الحياة ومشاركته لمجتمعه مشاركة البصير المستنير وذلك شأن العلماء الذين يشعرون من قرارة نفوسهم بأن واجبهم فى الحياة التوجيه والإرشاد والاندماج فى المجتمعات وتولى الشئون التى لا تستقيم أمور الأمة إلا بها .

وقد اختلفت كتب التراجم فى ذكر مصنفات له فيقول صاحب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب طبعة مكتبة القدس فى الجزء السادس صحيفة أربع وخمسين ومائتين ما نصه : « ومع سعة علمه لم يصنف شيئاً » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ويقول صاحب الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة مطبعة دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدر آباد بالهند فى الجزء الثالث صحيفة تسعين واربعمائة وما بعدها ما نصه : « ولم يظهر له من التصانيف شىء مع أنه كتب على الروضة وعلى مختصر ابن الحاجب الأصلى وعلى المطلب لابن الرفعة » .

توفى رحمه الله بدمشق فى جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ ودفن بسفح قاسيون بتربة السبكيين .

مكتبتنا العربية

لغويات

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

استراح من عناء التعب

يشيع هذا التأليف بين الناس . وينكره بعض الكتاب . ويقول صديق الأستاذ محمد عبد العظيم افندى المدرس الأول للغة العربية بالمدرسة السعيدية فى مصنفه « سلسلة عثرات الأقلام » - وهو من المعنيين بهذا الشأن والحريصين على تنقية اللغة العربية مما شابها - : « ولا يقال : استرحت من عناء التعب ، وإنما يقال : استرحت من عناء العمل » .

ووجه الإنكار فى هذا أن العناء هو التعب ، فلا معنى لإضافته إليه وهما مترادفان . وإنما يضاف العناء إلى مبعثه ومصدره ، وهو العمل . غير أن الأمر فى هذا مبنى على التشدد والتضييق فى اللغة . وقد ورد مثل هذا التأليف فى فصيح الكلام وما لاينكر من القول وكانت هذه المسألة لهذا مثار جدل بين علماء العربية .

وتدخل هذه المسألة تحت عنوان « إضافة اللفظ إلى نفسه » ومنها إضافة الموصوف إلى صفته ؛ نحو مسجد الجامع ، ودار الآخرة ، وإضافة اللفظ إلى مرادفه كالذى نحن فيه .

وقد جاء من هذه المسألة قوله تعالى فى سورة ق : ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، وقوله تعالى فى سورة الواقعة : إن هذا لهو حق اليقين . فالحب هو الحصيد ، والحق هو اليقين . ويقول الطبرى فى تفسيره : « وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله (وحب الحصيد) : الحب هو الحصيد ، وهو مما أضيف إلى نفسه ، مثل قوله : (إن هذا لهو حق اليقين) .

ومما جاء من هذا قول الشاعر :

فقلت أنجوا عنها نجا الجلد إنه ... سيرضيكما منه سنام وغاربه

فقد أضاف النجا الى الجلد ، والنجا هو الجلد :

وقال يزيد بن الحكم الثقفى :

مكتبتنا العربية

تفاوض من أطوى طوى الكشح دونه ومن دون من صافيته أنت منطو

فتراه أضاف الطوى إلى الكشح ، والطوى هو الكشح .

ونرى فريقا من النحويين يعمد إلى التأويل فيما أورد من الشواهد وغيرها ، ويتكلف المغايرة بين معنيي اللفظين المتضايفين . فيقول فى حب الحصيد : حب الزرع الحصيد .

ويقول فى حق اليقين : حق الأمر اليقين ، وهكذا يمضى هذا الفريق فى تأوله .

ولا يرضى فريق منهم هذا التكلف ، ويجيز هذا النوع من الإضافة .

وفى الإنصاف ١٨١ : « ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز » .

ويقول الرضى فى شرح الكافية ١ / ٢٨٨ بعد أن تكلم على إضافة اللفظ إلى نفسه ، وعرض للخلاف فيه : « والإنصاف أن مثله كثير لا يمكن دفعه ؛ كما فى نهج البلاغة : لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ، وقوله : ورخاء الدعة ، وسكائك الهواء ... ولو قلنا إن بين الإسمين فى كل موضع فرقا لاحتجنا إلى تعسفات كثيرة » .

وقد ورد الشاهد الأول من نهج البلاغة فى خطبة الإمام المعروفة بخطبة الأشباح ففيها : « ولم يستعظموا ما مضى من أعمالهم . ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم » وفى شرح الشيخ محمد عبده : « الشفقات : تارات الخوف وأطواره . وهو فاعل نسخ . والرجاء مفعول . والوجل : الخوف أيضا » .

والشاهد الثالث ورد فى أول ما ذكر من خطب الإمام فى النهج ، وفيها : « سبحانه فتق الأجواء ، وشق الأرجاء ، وسكائك الهواء » والسكائك جمع السكاكة وفى شرح الشيخ الإمام : « السكاكة - بالضم - الهواء الملاقى عنان السماء » .

والشاهد الثانى « رخاء الدعة » أقرب الشواهد إلى ما نحن بصدد بحثه . فعناء التعب كرخاء الدعة . وهذا خير ما نصحح به هذا التأليف .

ولو سلك الباحث فى هذا منهج التأويل لم يعْىَ به ، ولكان له فيه منهج وسبيل . فقد يزعم امرؤ أن العناء غير التعب . فالتعب فتور الجسم من فرط العمل . والعناء المشقة والضيق الذى يكون من التعب وغيره . فتصح الإضافة على هذا عند البصريين الذين لا يجيزون إضافة اللفظ إلى نفسه بحال .

مكتبتنا العربية

ويحسن هنا إيراد بعض شعر للحطيئة فيه لفظ العناء ، ويبدو فيه أن العناء غير التعب . قال فى الحديث عن ود الإنسان طول الحياة وامتداد العمر :

يصب إلى الحياة ويشتهيها وفى طول الحياة له عنـــاء
فمنها أن يقاد له بعير ذلول حين تهترش الضراء

يقول إذا صار المرء شيخا لا يضبط بعيره الذلول فيحتاج إلى من يقوده وهو راكبه ، خوف أن ينفر به عند اهتراش الضراء أى عند نباح الكلاب وتعرضها ، فجعل هذا عناء له ؛ إذ تضيق بذلك نفسه . ولا يحسن هنا أن يجعل هذا تعبا له .

ثم قال :

ومنها أن ينوء على يديه وينهض فى تراقيه انحنـاء
ويأخذه الهداج إذا هداه وليد الحى فى يده الرداء

الهداج : مشى سريع فى تقارب خطو . يقول إنه إذا أسن قارب فى خطوه ، ويحمل له الغلام الرداء لأنه يثقل عليه .

ثم قال :

وينظر حـــوله فيرى بنيه حواء من ورائهم حواء

الحواء : أبيات مجتمعة نحو اثنتين . يريد أن بنيه قد تناسلوا فصارت لهم بيوت كثيرة . فجعل هذا من العناء . وظاهر أن هذا لا يقال له تعب .

الوحيد . الوحيدة . الوحدة

الوحيد وصف فى معنى المنفرد . تقول : هذا هو الرجل الوحيد فى علمه وفنه . واشتهر على ألسنة الناس فى مؤنثه الوحيدة . ولكن المعنيين بتنقية اللغة يحرصون على إنكار هذه الصيغة (الوحيدة) ، ويوجبون فى مكانها (الوحدة) . ولا يطيب لهم أن يسمعوا ما كان يتغنى به بمصر فى دهر مضى وانصرم .

مصر الجديدة هِىَ الوحيدة

وفى مصنف سلسلة عثرات الأقلام الذى نوهت به آنفاً : « ولا يقال : هذه المسألة الوحيدة التى تشغل أذهاننا . وإنما يقال : هذه المسألة الوحدة التى تشغل أذهاننا » . وهؤلاء المنكرون يأوون فى إنكارهم إلى ركن شديد ، ويُرْزون [1] إلى متكأ

(١) أزرى إلى الشىء : استند إليه .

مكتبتنا العربية

عتيد . فقد ذكرت المعاجم اللغوية فى صيغ وصف المذكر صيغتى وحيد ووحد ، واقتصرت فى وصف المؤنث على وحدة . وصرح شارح القاموس بما لا يدع مجالا للشك فى إنكار (الوحيدة) . فقد قال فى القاموس : « ورجل وحدو أحد محركتين ووحد ، ووحيد ، ومتوحد : منفرد . وهى وحدة » وقال الشارح : « قوله (وحدة) بفتح فكسر فقط . ولذا عدل عن اصطلاحه وهو قوله : (وهى بهاء) لأنه لو قال ذلك لاحتمل أو تعين أن يرجع للألفاظ التى تطلق على المذكر مطلقاً . قاله شيخنا . قلت : وهذا حكاه أبو على فى التذكرة ، وأنشد : . . كالبيدانة الوحدة قال الأزهرى : وكذلك فريد وفرد وفرد » وفى اللسان نحو ما فى القاموس وشرحه .

غير أنى أرى أن لا وجه لإنكار (الوحيدة) . ذلك أن الوحيد وصف من وُحد : فإنه يقال : وحد ، يوحد ، وحادة ، فهو وحيد . فوحيد من وحد كشريف من شرف ، وكريم من كرم ، فهى أوصاف جاءت على فعل فى معنى فاعل . والوصف القياسى للمؤنث من هذه الأوصاف بالتاء كما تقول : شريفة وكريمة من غير نكير . ولم يذكر أصحاب المعاجم صيغة المؤنث من وحيد استغناء بعلمها عن طريق القياس . وقد عنوا بذكر الوحدة والاستشهاد عليها لما كانت صيغة غريبة كذكرها (الوحد) .

ومما يشذ من هذا أن فى البلدان موضعاً يقال له الوحيدة . ويقول فيه ياقوت « الوحيدة مؤنث الذى قبله ، من أعراض المدينة ، بينها وبين مكة ، قال ابن هرمة :

أدار سليمى بالوحيدة فالغمر أبينى سقاك القطر من منزل قفر

ويريد ياقوت بالذى قبلها الوحيد . وهو مكان ذكره ذو الرمة فى قوله :

ألا يادار ميـة بالوحيـــد كأن رسومها قطع البرود

ووجه الاستدلال أن الوحيده علم منقول من وصف المؤنث كما ذكر ياقوت ، وليس علماً مرتجلا .

وهنا نص من معجم فى اللغة للغوى فارسى متأخر اعتمد فيه على أمهات اللغة ، وهو معيار اللغة . يقول فيه فى المادة : « ورجل وحد - كسبب وكتف - ، ووحيد - كأمير - وهى وحدة ككلمة ، ووحيدة كسفينة » .

وقد يقنع القارىء مما سقته بصواب (الوحيدة) . ويكون له سعة فى استعمالها .

مكتبتنا العربية

من أدب القوة :

الشعر والحروب الصليبية

الفضيل الاستاذ الشيخ رياض همل

المدرس فى كلية اللغة العربية

— ٤ —

ونجد الرشيد النابلسى الشاعر : يلقى بدلوه فى الدلاء ويلهج بالحديث عن فتح القدس مصورا كيف أن آمال المسلمين ، قد انتهت إلى تلك الأمنية الكبرى التى ليس للآمال بعدها ما تنتظره من مسرات ، ونراه يصف حديث الناس عن هذا الفتح الأكبر وإفاضتهم فيه حتى ينفى أن فتحا قبله ظفر بمثل هذا الاحتفال فيقول :

هذا الذى كانت الآمال تنتظر ... فليوف لله أقوام بما نذروا
بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت ... فى سالف الدهر أخبار ولا سير
يا بهجة القدس إذ أضحى به علم الإ ... سلام من بعد طى وهو منتشر
يا نور مسجده الأقصى وقد رفعت ... بعد الصليب به الآيات والسور
الله أكبر صـــوت تقشعر له ... شم الذرا وتكاد الأرض تنفطر

ومنها لما أراد الفرنج أخذه من صلاح الدين - وتراه يسفه حلومهم إذ يحاولون عابثين - ذلك قوله :

ويح الفرنجة بل ويح أمهم أو ما ... فيهم لبيب على العلات يعتبر
إن يمموك فلا يدع لجهلهم ... تسعى إلى الأسد فى غاياتها الحمر
كم قد سقيتهمو ذلا فلا عجب ... إن عربدوا سفها فالقوم قد مكروا

هذا - ولم يزل بيت المقدس بأيدى المسلمين من عهد صلاح والشعراء يلهجون بفتحه ويفخرون بكسر الفرنجة إلى سنة ٦١٦ هـ فأنه خرب بسبب انتشار الفرنجة ورغبة الناس عن السكنى فيه ، فرثاه شهاب الدين أبو يوسف بقصيدة عارض فيها

مكتبتنا العربية

فصيدة دعبل الخزاعى فى آل البيت ، ونراه فيها يستجدى عينيه البكاء ويطلب إليهما أن تصلا البكاء ، لعل سيول الدمع أن تطفى توقد الجمر فى القلوب على ما صار إليه المسجد الأقصى من دروس وإظلام بعد أن كان موطنا للإخبات ، والصلوات وموسما للبر والإحسان والقربات قال .

أعينى لا ترقى من العبرات ... صلى فى البكا الآصال بالبكرات
لعل سيول الدمع يطفىء فيضها ... توقد ما فى القلب من جمرات
على المسجد الأقصى الذى جل قدره ... على موطن الإخبات والصلوات
عفا بعد ما قد كان للخير موسما ... وللبر والإحسان والقربات

إلى أن قال فى آخر قصيده :

فمن لى بنواح ينحن على الذى ... شجانى بأصوات لهن شجاة
يرددن بيتا للخزاعى قاله ... يؤبن فيه خيرة الخيرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

وإذا كان الشعراء قد صالوا وجالوا وأداروا القول فى فتح بيت المقدس فقد كان ليوم حطين[1] - وهو يوم من أيام صلاح الدين المشهودة - حظ وافر من عناية الشعراء ذلك بأنه يوم قد انتقم الله به من دولة الشرك . وعلت فيه كلمة التوحيد ، وعزت الدولة الناصرية ، وخذلت الدولة الصليبية ، وشاعت فى الدنيا البشريات ومحاسن الأحاديث فوجد الشعراء مكان القول ذاسعة فافتنوا ما شاء لهم الاقتنان فالعماد يهنىء صلاح الدين ويصور ملحمة حطين فيقول :

سميت على الأردن ردنا[2] من القنا ... رديفية ملدا وخطية ملسا
حططت على حطين قدر ملوكهم ... ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا

---

(١) بكسر الحاء والطاء المشددة قرية بين أرسوف وقيسارية بها قبر شعيب عليه السلام .
(٢) الردن صوت وقع السلاح بعضه على بعض .

مكتبتنا العربية

ونعم مجال الخيل حطين لم تكن معاركها للجرد ضرسا ولا دهسا
غداة أسود الحرب معتقلوا القنا أساود تبغى من نحور العدا نهسا (١)
طردتهم فى الملتقى وعكستهم بجيدا بحكم العزم طردك والعكسا
بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا

وعلى ابن الساعاتى الشاعر يقول من قصيدة فى هذا المعنى وهو يصف هذا الفتح بأنه فتح مبين بات منه المسلمون فى فرح قرت به عيونهم حين رد صلاح الدين أخيذة الإسلام من الصليبيين :

جلت عزماتك الفتح المبينا فقد قرت عيون المسلمينا
رددت أحيدة الإسلام لما غدا صرف القضاء بها ضمينا
وهان بك الصليب وكان قدما يعز على العوالى أن يهونا
وما طبرية إلا هدى ترفع عن أكف اللامسينا

وفيها يشير إلى قيام صلاح الدين بفريضة الجهاد فيقول :

قضيت فريضة الإسلام منها وصدقت الأمانى والظنونا
تهز معاطف القدس ابتهاجا وترضى عنك مكة والحجونا
فلو أن الجهاد يريد نطقا لنادتك ادخلوها آمنينا

ويختمها بقوله :

أدرت على الفرنج - وقد تلاقت جموعهمو عليك - رحى طحونا
ففى « بيسان » ذاقوا منك بأسا وفى صفد أتوك مصفدينا
وخانهمو الزمان ولا ملام فلست بمبغض زمنا خئونا

وترى ابن الساعاتى يحاول أن يجنس فى قوله بيسان وبأسا وقوله شعراء العهد الأيوبى ، وهو نوع من أنواع سد الفراغ فى صناعة الشعر فى هذه العهود المتأخرة .

ولا ننسى أن نذكر أن صاحب النجوم الزاهرة هو الذى ذكر هذه القصيدة

---

(١) نهس اللحم كنع وسمع أخذه بمقدم أسنانه ونتفه .

مكتبتنا العربية

فى فتح « حطين » على حين ذكرها صاحب « الروضتين » أبو شامة فى فتح طبرية [١] ويبدو أن الشاعر قالها فى فتوح صلاح الدين كما يفهم ذلك من الأسماء التى وردت فى القصيدة من بيسان وصفد وطبرية وغيرها ، ومن بينها حطين ويظاهر هذا أن أكثر فتوح صلاح الدين كان فى سنة كسرة حطين [٢] ، ولفتيان الشاغورى من شعراء هذا العهد فى يوم حطين من قصيدة يصور فيها تذامر المشركين وتحاضهم على القتال ومدافعة صلاح الدين لهم وغشاءه فى حربهم ، ثم يخلص الى الدعاء له ألا يعدم المسلمون منه أيادى لم تجحد فقد أمن سربهم وصان حريمهم ودفع عنهم قواصم الظهور وعظائم الامور :

جاشت جيوش الشرك يوم لقيتهم ... يتذامرون [٣] على متون الضمر
أوردت أطراف الرماح صدورهم ... فولفن فى علق البخيع الأحمر
وعجمت عود صليبهم فكسرته ... وسواك ألقاه صليب المكسر
لا يعد منك المسلمون فكم يد ... أوليتهم معروفها لم ينكر
آمنت سربهمو وصنت حريمهم ... ودرأت عنهم قاصمات الأظهر

ولو أننا أردنا أن نلم بكل ما قاله الشعراء فى فتوح صلاح الدين وغيره ، ملوك الأيوبيين لطال بنا الحديث واعيا علينا الأمر ، فقد كان الشعراء لهذه ح بالمرصاد يسجلونها - وهم كثرة ساحقة فى أشعارهم عظمت هذه الفتوح أم ، لان المعنى الذى يحسه الشاعر من هـــذا الفتح معنى عاطفى دينى جدير فيه الحماسة والفخر فترى لهؤلاء الشعراء شعرا فى موقعه مرج [٤] عيون على حسن الجوينى : [١]

(١) الأردن البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهى فى طرف جبل مطل عليها ، وهى من أعمال

(٢) الروضتين ج ٢ ص

(٣) التذامر التحاض على القتال .

(٤) بلد بسواحل الشام .

مكتبتنا العربية

إن هـذا الفتح المبين شفـاء لصـدور وقرة لعيون
هو يوم أضحى كيـوم حنين سهل الله نصره فى الحزون

ولابن النعاويذى الشاعر فى هذه الموقعة أيضا قوله :

إن كان دينك فى الصيانة دينى فقف المطىّ برملتى يبرين
كاد الأعادى أن يصيبك كيدها لو لم تكدك برأيها المأفون
كمنوا وكم لك من كمين سعادة فى الغيب تظهر من وراء كمين
قهرت نجوم سعودهم وقضى لهم بالنحس طائرهم بمرج عيون (١)

ونرى لهم شعراً فى حصن الطور كقول الأمير الحلبى الشاعر يخاطب العادل الأيوبى وينبهه إلى نزول الفرنج بحصن الطور وأن هذا الحصن فى تعلق المسلمين به وتطلعهم إليه لا يقل عن بغداد :

قل للخليفة لا زالت عساكره لهـا إلى النصر إصدار وإيراد
إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوا لا تغفلن حصن الطور بغـداد

ويقول ابن سناء الملك الشاعر المصرى فى تخليص « تبنين » من أيدى الأعداء مخاطباً صلاح الدين :

قدمت بالسـعد وبالمقتم كذا قدوم الملك المقـدّم
أغثت « تبنين » وخلصتها فريسة من ما ضغى ضيغم
قميصك الموروث عن يوسف ما جاء إلا صادقا فى الدم
شنشنة تعرف من يوسف فى النصر لا تعرف من أخزم

وإن كنا نجد تعبير الشعراء عن هذه الفتوح الصغيرة من اللمحات الخاطفة والتصويرات العابرة التى لا تصل إلى حد التجارب الشعرية المستفيضة التى عرفناها فى تلك الفتوح الكبرى وإن كان الشعراء على أى حال قد أدوا واجبهم ولم ينكصوا عنه ولم تشغلهم شواغل العيش والحياة ولم يلههم العكوف على المجانة والمعابثة شأنهم فى كل العهود .

---

(١) الروضتين حـ ٢ ص ١٠

مكتبتنا العربية

النقد الادبى عند العرب

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد محمود المطلوت
المدرس بكلية اللغة العربية

تستقر فى الفطرة الإنسانية ، وتكمن فى الطبيعة البشرية غريزة أصيلة ، تؤدى رسالة سامية ، وتقوم بمهمة جليلة دقيقة ، تلك غريزة الرضى أو السخط ، والاستحسان أو الاستهجان لما يتردد أمامنا من مظاهر الكون أو يمر بنا من صور الحياة ، فكل إنسان مهما كان حظه من العلم ، ونصيبه من المعرفة خاضع لهذه الغريزة ، مستسلم لتلك الطبيعة . يحب ويكره ويقبل ويدبر ، ويرضى ويغضب ويتأثر حتما بما يطوف به من أحداث الدنيا ومظاهر الوجود ، إرتياحا أو انقباضا ، ومعرفة أو إنكاراً ، وبهذه الغريزة استطاع الإنسان أن يتدرج فى مدارج الكمال ، وأن يصعد فى معارج الرقى لأنه حاول دائما أن يحتفظ بما يحب وأن يثور على ما يكره ويمقت فيغير وضعه ويزيل أثره . وأصبحت تلازمه فطنته إلى مواطن الكمال وإحساسه بمواضع النقص ، وهذه هى التى تسمى فى عرف الناس بالنقد . فهو ليس إلا الإدراك والتمييز وقوة التمحيص حتى يتسنى اختيار الأكمل وانتقاء الأحسن واجتناب الفساد وتوخى الصلاح .

وعلى هذا قامت الحياة وتنقلت فى أطوارها المختلفة وتنوعت فى أدوارها المتباينة ، تستقيم أو تعوج ، وتسير على الجادة أو تنحرف على مقدار ما تستيقظ هذه الغريزة أو تغفو ، وتنشط فى رسالتها أو تفتر وتتبلد .

ونحن فى هذا البحث الموجز العابر لا يعنينا من جوانب النقد إلا ناحية واحدة ، هى التى تتصل بالكلام وتدل على مكان بلاغته وموضع قوته وتعلن عن سموه وإبداعه ، أو تجلى عيوبه وتبرز مثالبه ، وتوضح مظاهر ضعفه وتهافته .

فما هو هذا النقد أولا ؟ ومتى نشأ عند العرب ؟ وعلى أى أصل قامت دعائمه ونهض بناؤه ؟

مكتبتنا العربية

كان العرب يطلقون النقد والتنقاد والانتقاد على تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها .

أنشد سيبويه فى وصف ناقة .

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدراهيم تنقاد الصياريف (١)

ويقال عندهم : نقدت الدراهم وانتقدتها أى أخرجت الزيف منها .

وهذا المعنى هو أنسب المعانى وأوثقها صلة بما نريده من كلمة النقد الأدبى . فهى تمييز جيد الكلام من رديئه وساميه من سوقيه وبليغه من سفسافه . ولا يتأتى للمرء فى هذا أن يصل إلى حكم صحيح ، وميزان صائب إلا إذا كان ذا فهم ناضج ودراسة شاملة حتى يستطيع أن يقيس الأشباه بالأشباه ويضع النظير إلى جانب النظير ويوازن بين الأساليب المتحدة فى المنزع والفكرة .

وإن الناظر فى تاريخ النقد الأدبى عند العرب يرى أن مولد هذا الفن يقترن أشد الاقتران بمولد الشعر ، فهو استحسان لما أبدعوا من هذه الصور الفنية الخلابة ، أو استهجان لما يبدو فيها أحيانا من عدم استواء الخلق أو يتخللها من القصور فى العبارة أو الفساد فى المعنى أو الاضطراب فى أداء المراد .

ونحن لا نستطيع أن نعرف مولد النقد الأدبى كما لم نستطع أن نحدد بالضبط مولد الشعر العربى ولكن الشعر إذ وصل إلينا قبل الإسلام بنحو قرن من الزمان أو أكثر صحبه النقد كذلك فى صورة لا تخلو من دقة وألمعية ، وإن اعتمدت على الإجمال فى الإشاره إلى مواضع الحسن أو القبح ، وكان أكثر النقد يرجع كذلك إلى أحكام عامة مردها إشراق النفس وشدة إحساسها وسرعة إدراكها للقوة أو الضعف ، والجيد أو الردىء ، ويقينها بأنه لا يخفى منه شىء على ذوى الفطن وأهل البلاغة ومن يحسنون ذوق الكلام ويفرقون بين مختلف الأساليب .

فلم يكن يعنى الناقدين إذ ذاك أن يمعنوا فى بيان العلل وذكر الأسباب ، ولا أن يفيضوا ويطنبوا فى شرح المآخذ وتحليل العيوب ، إنما هى لمحات يستشعرها

---

(١) تنفى : تدفع الهاجرة : شدة الحر ، الصياريف : مفرده صيرفى وهو بياع النقود يغيرها من النقود . يشبه نثرها الحصى بنثر الصيرفى الدراهم .

مكتبتنا العربية

الناقد ويتطامن إليها السامع لأول وهلة ، ولعل الذى دفعهم إلى ذلك أولا ما فطروا عليه - وهم أهل فصاحة وأمراء بلاغة - من قوة الحس وشدة الإدراك ويقظة الوعى البلاغى وسمو الفطنة لما يمر بهم من رائع القول وجزل الكلام .

ثم أغراهم ثانياً بهذا اللون من تمييز الكلام والدلالة على أقداره ما يكون بين الشعراء عادة من تنافس على السبق وتزاحم على أبواب الملوك والأمراء وذوى الجاه واليسار التماسا لعطائهم ، واستمناحا لبرهم ، فحاولوا الصقل والتجويد ورغبوا فى التنقيح والتهذيب ، حتى نشأ بينهم عبيد الشعر ومن عرفوا بأنهم أصحاب الحوليات . وليس ذلك إلا التماسا للكمال وتجنبا للنقص وبعداً عما عساه يتردد فى نفوس السامعين من تجهم لعيب أو استنكار لملمز .

وكان العرب من أشد الناس احتفالا بالشعر ورغبة فى سماعه ، فكانوا يجتمعون فى الأسواق العامة والمحافل الجامعة ، ويتناشدون أشعارهم ويتطارحون قصائدهم ، وقد يدفعهم الإعجاب بالشعر والانتشاء برحيقه أن يعلنوا عن مظاهر سموه ومجالى إبداعه لما قد يغريهم الحقد والتحاسد إلى استعراض عيوبه واصطياد مساوئه ، وربما جرهم التلاحى فى ذلك والتمارى فى الحسن والقبح إلى الاختلاف إلى الحكام والذهاب إلى خبراء الفن ليحكموهم فيما شجر بينهم من خلاف ، حتى ليروى أن النابغة الذبيانى كانت تضرب له فى عكاظ قبة من أدم فيجلس فيها ويتحاكم إليه الشعراء ، وقد وفد عليه فيمن وفد حسان بن ثابت والخنساء ، فأنشده حسان قصيدته :

لنا حاضر نعم وباد كأنه شماريخ رضوى عزة وتكرما

وأنشدته الخنساء فى رثاء أخيها صخر :

قذى بعينيك أم بالعين عوّار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

فقال للخنساء : لولا أن أبا بصير - يقصد الأعشى - سبقك لقلت إنك أشعر من بالسوق . وكان الأعشى قد سبق وأنشده قصيدته :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالى وما ترد سؤالى ؟

مكتبتنا العربية

وقال لحسان : إنك لشاعر ، فغضب حسان من ذلك أشد الغضب ، وقال والله إنى لأشعر منك ومنها فقال له النابغة إنك يا بنى لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ويروى أنه نقده فى بيتيه

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا إبنا

فقال له : أضعفت فخرك وأقللت جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك .

فنحن نرى أن الرغبة فى السبق والطموح إلى علو المكانة وسمو المنزلة قد دفع إلى اصطياد المعايب وتلقف المغامز ، كما أغرى بالدلالة على مكان الحسن وسبب التفوق فى بيت النابغة .

وهناك عامل آخر مكن للنقد الأدبى ، وأرسى أساسه وأقام دعائمه . ذلك هو عصبية كل قبيلة لشاعرها وفخرها بما صدر عنه من قول . وما أثر له من شعر واعتزازها بما وفق إليه من بارع المعانى ورائع الأخيلة ودقيق الصور ، والتماسها لمعايب غيره من الشعراء حتى يخلص لهم مجال العظمة ويتوفر لديهم الإقرار بالسبق والغلبة .

هذه بعض العوامل التى هيأت للنقد أن يوجد ويقوم بدوره ويؤدى رسالته فى الحياة الفكرية للعرب وقد خلعت عليه من أسباب البقاء وعناصر الخلود ما جعلته يؤتى أكله شهيا طيباً وينهض بمهمته قويا دائبا .

وإن من يستعرض أمثلته ويستحضر وقائعه من لدن الجاهلية يدرك أنه كان يقوم دائما على البصيرة النيرة والذكاء النافذ والألمعية السريعة الطيعة دون إجهاد للفكر وكدّ للذاكرة واستغراق فى البحث والتنقيب .

سمع طرفة بن العبد وهو صبي منشداً ينشد قول المتلمس .

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم (١)

---

(١) الصيعرية : سمة تكون فى عنق الناقة لا البعير . وناج : جمل سريع . ويغلب هذا فى وصف الناقة فيقال ناجية ، ومكدم : صلب .

مكتبتنا العربية

فقال على الفور : استنوق الجمل ، وذلك لأن الشاعر وصف البعير بالصيعرية وهى من سمات الناقة لا البعير .

ويروى أن امرأ القيس [١] وعلقمة بن عبدة تحاكما إلى أم جندب الطائية زوج امرىء القيس فى أيهما أشعر ، فبعد أن استمعت إلى ما اختاره كل منهما من شعره وأنشده قالت لامرىء القيس : علقمة أشعر منك لأنك قلت فى وصف فرسك :

فللسوط ألهوب وللساق درة ولازجر منه وقع أخرج مهذب [٢]

فقد ضربت فرسك بسوطك وحركته بساقك وزجرته بصوتك ، وقال علقمة فى وصف فرسه :

فأدركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب [٣]

فأدرك فرسه الصيد ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب . ولم يضربه بسوط ولم يتعبه .

ويروى أن النابغة كان يقوى فى شعره [٤] دون أن يلتفت إلى ما فى هذا من تشويه يغض من جمال الشعر ويزرى من قدره ، فقدم المدينة وأنشد أهلها قصيدته :

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود

وفيها :

سقط النصيف ولم ترد أسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

---

(١) الموشح ص ٣٠

(٢) الأخرج : ذكر النعام والأخرج بياض فى سواد . ومهذب أى مسرع فى عدوه . ومعنى للسوط ألهوب أى يلهب جريه حين يضرب به . وللساق درة : أى إذا غمز در بالجرى ،

(٣) ثنى عنان فرسه : جذبه نحوه . والرائح : السحاب ، والمتحلب : المتساقط المتتابع .

(٤) ص ٣٩ الموشح .

مكتبتنا العربية

فعيب عليه هذا الإقواء وقيل له : إنك تكفىء الشعر فلم يأبه له فقدموا إليه قينة تغنيه وتبين الياء فى (مغتدى ومزود) والضمة فى (الأسود ويعقد) ففطن لذلك وأدرك أن فى شعره نشازا وغيره بقوله (وبذاك تنعاب الغراب الأسود) ، (عنم على أغصانه لم يعقد) ولم يعد بعد ذلك يقوى فى شعره وقال : دخلت يثرب وفى شعرى عهدة وخرجت منها وأنا أشعر الناس .

وأنشد الأعشى قيس بن معد يكرب أحد أشراف اليمن مديحاً له ، فلما وصل إلى قوله :

ونبئت قيساً ولم آته وقد زعموا ساد أهل اليمن

فعابه عليه ورده ولم ينفعه لديه إصلاحه له بقوله :

ونبئت قيساً ولم آته على نأيه ساد أهل اليمن

ومن هذا نفهم أن النقد إبّان العصر الجاهلى كان قائما على الذوق والحس والإدراك العام وانفعال النفس وتأثرها لأول وهلة ، وأنه لم يكن يقوم على طول التفكير وعمق البحث وطول تردد النظر ، فتلك خلال الباحث الدارس الذى يستجمع الشوارد ويستحضر النظائر ويديم الدرس ويطيل الموازنة بين هذا وذاك ويحتشد للتحليل والاستقصاء .

وليس النقد الأدبى عند الجاهليين فى مظهره ومخبره إلا تمشياً مع الفطرة وانقياداً للسليقة التى تعرف وتنكر ، وتستجيد وتستهجن ، وفقاً لما تتذوقه من أساليب وتألفه من صور .

على أن النقد بعد أن وضعت له القواعد ونصبت له الموازين لم يستطع أن ينقض شيئاً مما ساقته الفطر وبعثه انفعال النفس وتأثرها لأنه عمل الطبيعة المشرقة المستنيرة التى لم يفسدها تصنع ولم يداخلها كذب فى الحس والشعور .

مكتبتنا العربية

الوسائل والغايات

لفضيلة الشيخ بدر المتولى عبد الباسط
المدرس فى كلية الشريعة

لكل إنسان فى هذه الحياة مقاصد يهدف إليها ، وغايات يسعى إلى تحقيقها . فمن الناس من يهدف الى الخير ، ومنهم من يهدف إلى الشر ، ولكل من هؤلاء وأولئك وسائل لتحقيق أهدافه وغاياته ، فمن الناس من يسلك إلى الخير طريق الخير . ومنهم من يسلك إليه طريقا معوجا مليئا بالشرور والآثام ، ومن الناس من يسلك إلى الشر طريق الشر والإثم ، ومنهم من يسلك إليه طريق الخير والبر ، وإنى - فى هذه الكلمة - أوحاول أن أبين ما هو المشروع من هذه الغايات وما هو المشروع من هذه الوسائل ، وهل الغاية تبرر الوسيلة ؟ وهل حسن النية ونبل الغايه يحسن القبيح من الأعمال ؟

قد يبدو لك - أيها القارىء الكريم - أن الجواب عن هذا السؤال سهل وأنه يكاد يكون معروفاً للجميع ، ولكنك ستعرف عند البسط والبحث أن الموضوع يحتاج إلى كثير من التفكير .

لا شك أنه إذا كانت الغاية شريفة والوسيلة إليها مشروعة كان العمل صحيحا مثابا عليه فى نظر الشرع ؛ وبالعكس إذا قبحت الغاية والوسيلة كان عملا مرذولا معاقبا عليه ؛ وأقبح من ذلك إذا سامت الغاية وحسنت الوسيلة فإن ذلك هو النفاق والرياء واتخاذ الدين تجارة دنيوية وجعله سلعة فى سوق الشهوات . وصدق من قال :

إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمدا إلى الله أقرب

بقى ما إذا حسنت الغاية وقبحت الوسيلة ، فهل حسن الغاية يبرر الوسيلة ، وتكون العبرة بالمقاصد والنيات لا بالوسائل والمقدمات ؟ إن إطلاق القول بالتحسين أو التقبيح خطأ فاحش فإننا نعلم أن الشرع أباح الكذب - وهو قبيح - لإصلاح ذات البين بين متخاصمين أو إصلاح أمر الزوجة أو خداع الأعداء فى حال الحرب ، ونعلم كذلك أن الشرع اعتبر التقرب والعبادة لغير الله شركا وإن كان الغرض منها التقرب إلى الله والزلفى إليه سبحانه .. ومن هذا يتبين لنا أن حسن

مكتبتنا العربية

الغاية قد يبرر الوسيلة أحيانا ، وقد لا يبررها أحياناً ، فوجب أن ننظر فى كل حادثة نظرة عميقة ، حتى تكون الفتيا فى كل مسألة صوابا أو قريبا من الصواب . ولا يحسن بنا أن نقول كما يقول بعض الناس تبريرا لأخطائهم « إنما الأعمال بالنيات » .

هناك جماعات من الناس يهدفون الى الخير ويسلكون إليه سبلا غير مشروعة كجمع التبرعات بطرق اللهو والفجور ، أو ببيع أوراق اليانصيب ، فهل حسن النية وشرف القصد يبيحان هذه الوسائل المنكرة ؟ كلا . فقد بين الله سبحانه طرق البر وهى كافية لتحقيق أغراض الخير من المخلصين : وأبطل الله أنواعاً من البر بما يشوبها من شر مستطير وإثم كبير ؛ فقد كان الميسر فى الجاهلية طريقا من طرق البر ، وكان ما يربحه المقامرون ينفق على الفقير والمسكين ، ولكن لما غلب جانب الشر على جانب الخير حرمه وأخبر أنه من عمل الشيطان « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » .

وهذه سنته — سبحانه — فى تشريعه الحكيم إذا غلب جانب الخير على جانب الشر أباح الفعل وأثاب عليه ، وإذا غلب جانب الشر على جانب الخير حظره وعاقب عليه ؛ فإن الشر المحض والخير المحض لا يوجدان فى هذه الحياة ، ومن هنا يزلق كثير من الناس فى الخطأ ، فإن أجبوا أمرا لم يبد لهم إلا محاسنه فذهبوا يطرونه ويدعون إليه ؛ وإن أبغضوا أمرا لم يبد لهم إلا جانب الشر ، فراحوا يعددون مساوئه ومثالبه ويدعون الى حظره وتحريمه ؛ وقد يكون فيما دعوا إليه شر لا يقادر قدره ، وفيما نهوا عنه خير كثير لا يدرك غوره . وقديما قالوا :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

نعم إن الشرع أباح الكذب فى أحوال ثلاث تقدم ذكرها ، وليس معنى هذا أن نقيس غير الكذب على الكذب أو أن نبيح الكذب فى تحقيق أغراض أخرى مهما كانت شريفة ونبيلة وإلا فتحنا بابا من الشر لا يمكن إغلاقه ، واقتحمنا حصن الدين بالأهواء والغايات الشخصية .

وإننا إذا أبحنا الكذب لغاية شريفة نبيلة غير الغايات الثلاث المذكورة آنفا أجزنا الكذب على الله ورسوله إذا خيل إلينا أن فى الكذب عليهما مصلحة دينية . ولا يقول بذلك عاقل فضلا عن مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر .

مكتبتنا العربية

وهل يحل للمرأة المسلمة أن تعرض محاسنها على رجل أجنبي لتحمله على التبرع لمشروع خيري ؟ وصدق من قال « ليتها لم تزن ولم تتصدق » !

إن إباحة الكذب فى الأحوال السابقة إنما شرع على غير القياس - كما يقول الفقهاء - أو شرع على طريق الاستثناء كما يقول علماء القانون المحدثون - وما شرع كذلك لا يقاس عليه ، وإلا صار قاعدة وخرج عن كونه استثناء .

بقيت مسألة هامة تتردد فى النفس ، وهى أنه قد أصبحت الجاسوسية أساساً تقوم عليه الحروب وعاملاً هاماً من عوامل النصر والظفر ، وتعتمد الجاسوسية - غالبا - على النساء لمعرفة أسرار الأعداء ، فالرجل غالبا لا يفتح مغاليق قلبه إلا المرأة

فهل يباح للمرأة المسلمة أن تشتغل بالجاسوسية لمصلحة بلادها وقومها وأن تجعل من نفسها أداة لكشف أسرار أعدائها ولو أدى الأمر إلى ارتكاب الفاحشة والتسليم فى عرضها ، ولا سيما إن تعينت وسيلة لهـذه الغاية التى لا يشك أحد فى خطرها ونبلها ؟

والذى أطمئن إليه وأعتقد أن أحداً لا يخالفنى فيه أن انتهاك العرض محظور فى جميع الأحوال . وأن الله - سبحانه - يغار على الأعراض أكثر من غيرته على الأرواح ؛ فقد أباح إزهاق روح القاتل والزانى المحصن ، ولم يبح انتهاك العرض فى حالة من الحالات . ولهذا فلن يؤتى النصر قوما جعلوا أعراضهم وسيلة للغلبة على أعدائهم .

وقد أباح الشرع قتل المسلمين إذا تترس بهم المشركون ولم يمكن الوصول الى العدو إلا بقتلهم ، ولكنه لم يبح انتهاك أعراض الناس وإن كانوا أعداء للدين وحربا على المسلمين ، فكيف نبيح للمسلمين أن يسمحوا لامرأة مسلمة أن تبيع عرضها فى سبيل سر من الأسرار مهما كان خطيراً .

ولهذا فإن تاريخ المسلمين منذ نشأته الى اليوم لا يعرف هـذا اللون من الجاسوسية الحقيرة الدنيئة .

وبعد : فإن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وإن للحلال طرقا بينها الله ورسوله ، وليس لنا أن نستدرك عليهما وأن نأتى بوسائل من عند أنفسنا .

« يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم »

مكتبتنا العربية

تعبئة الأمة الإسلامية

للأستاذ الدكتور محمود فياض

المدرس بكلية أصول الدين

---

١ — عرف القارئ الكريم مبلغ حرص الإسلام على تحقيق السلام فى المجتمع البشرى ، وأنه لم يدع وسيلة توصل إليه إلا لجأ إليها ، مستهدفا سعادة البشرية وهدايتها إلى ما شرع الله لها ، وأن الإسلام قد أقر الحريات العامة للفرد والجماعة بأوسع ما عرف من معانى الحريات ، ولا شك أن المسلمين كغيرهم من أرباب الملل والنحل والمبادئ ، لهم مطلق الحرية فى الدعوة إلى دينهم وعقائدهم ، فى غير ظلم ولا إكراه ، لأن طبيعة العقيدة تأبى ذلك ، وأن دعاة الإسلام قد قوبلوا بالعنف ، وصدوا عن الدعوة بالأذى والتنكيل والتقتيل ، وأن المسلمين قد وجدوا أنفسهم مكرهين على الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم ، وحرية العقيدة بصفة عامة ، فحملوا السلاح فى وجوه قوم لا يؤمنون بالحق ولا بالحريات ، ولقد فرضت الحرب على المسلمين تصرفات خصومهم بردودهم على الدعوة . ولقد يعلم القارئ أن الحق ومبادئ الإصلاح والخير ، لابد لها من قوة تحميها ، وتذب عنها ، لأن الظالمين وأهل الفساد لا يحترمون دائما غير القوة ، وجميع رسالات الإصلاح الربانية ، والإنسانية ، قد عرفت القوة سياجا للحق ، والسلاح طريقا للتركيز ودفع شرور المفسدين ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » ولم يكن الإسلام بدعا من الأديان وهو نهاية تشريع الرحمن للإنسان ، وما كان المسلمون بدعا من طلاب السلاح والإصلاح ، فحملوا السيوف يجالدون بها قوى الشيطان والطغيان ، لإقرار الحريات والسلام ، ولهداية الناس فى غير ضعف ولا مذلة ، مبتغين العزة والكرامة غير ظالمين ولا متجبرين .

٢ — وأنت إذا تأملت مليا جميع مبادئ الإسلام ، وأوامره ونواهيه ، وشرائعه فى العبادات والمعاملات ، وشئون الاجتماع ، والجهاد وما يتعلق به ،

مكتبتنا العربية

وجدت الإسلام قد عنى أولاً : بتعبئة جميع قوى الخير فى الأمة ، للقضاء على دوافع الشر فيها ، ليجرد منها لهداية الناس ، خير أمة أخرجت للناس ، داعية إلى الخير ، متعلقة بأسباب الحب والسلام ، وثانيا : بعد تصفية النفوس فى الأمة وتوجيهها للخير العام ، ينشئ فيعبئ جميع القوى المادية والمعنوية فى الأمة ، للحفاظ على التوجيه الخير ، ومواجهة تكاليف الدعوة ، والسير بها قدما إلى الهدف المنشود ، حتى تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ؛ فالمسلمون أمة معبأة للدعوة والجهاد فى سبيل الله ، وقوة المسلمين شرط لتحقق عزتهم ، وعلو كلمتهم ، وسيادة دينهم ، وهم « فى رباط إلى يوم القيامة » ، واستعدادهم الحربى الدائم ، أمر واجب لمجابهة أحداث الزمان ، وحراسة الدين ، ومبادئ العدل والخير ، ولقد علم العقلاء أن العزة ، وعلو الكلمة ، والسيادة ، لا يستحوذ على شئ منها ضعيف ، ولا يحتفظ بها ذليل ، فإذا ترك المسلمون الاستعداد الدائم للجهاد أصبح الدين ومبادئه ، مجرد معنويات ، ومحفوظات ، ومرويات ، لا تحقق عزة ولا تدفع كيد عدو ، ولا تقيم سلطانا ، ولا تحفظ كيانا ، وفى ذلك جاءنا : « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا ، وضرب بعضهم وجه بعض ، وأصبح بأسهم بينهم شديداً » ، ولقد صدق التاريخ هذا الأثر الشريف . فانظر أين شئت إلى المسلمين ، فهل تجد غير شعوب مستعبدة ، وأمة شعاعا فرطت فى جنب الله ، ونسيت ما شرع الله لها من أسباب القوة ، واستكانت إلى الدعة ، فضعفت الهمم ، وفترت العزائم ، وضل سعيهم فى الحياة الدنيا ؟ « وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون » .

٣ — ولقد كانت هذه التعبئة ضرورية جدا لتدعيم القومية الجديدة التى صنعها الإسلام (١) ، وهى القومية الإسلامية ، فقد جمع الإسلام شتات العرب إلى وحدة عامة ، يستوى فى ظلالها كل أفراد العرب ، وأثار بذلك فيهم الشعور بالقومية العربية ، والأخوة العربية ، ثم تناول الإسلام بالتغيير كثيراً من قواعد العرب الاجتماعية والخلقية ، وعدل كثيراً من نظمهم وعاداتهم ، وصقلهم صقلا روحيا خاصا ، ثم ربط بينهم بالأخوة الإسلامية ، وتعهد ذلك الرباط بالتنمية والتغذية ، حتى صفت نفوس العرب تماما ، وتخلصت من شوائب الجاهلية ،

مكتبتنا العربية

وسيطر عليهم وجدان دينى ، وهيام روحى ، وفدائية مثالية فى سبيل نصرة الإسلام ، ومن هنا تحولت القومية العربية إلى قومية إسلامية ، يشرف عليها الدين ، ويوجه نشاطها إلى الخير العام للمسلمين فى شتى نواحى النشاط الإنسانى ، ويكلفها حمل الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاتجهت إلى هدف واحد ، هو نشر الإسلام ، وحمايته ، وتيسير هداية الناس به إلى أقوم سبل السعادة والقرب من الله سبحانه وتعالى :

ومن هنا تدرك أن المقصد الأول من « الجهاد الإسلامى » ثم من الفتوح الإسلامية ، هو مقصد روحى ، دينى ، هو هداية الناس إلى الدين الحق ، ودعوتهم إلى القرب من الله رب العالمين : ولم يكن هدف الجهاد هدفا ماديا ، كالتوسع السياسى أو الانتعاش الاقتصادى كما يزعم ذلك كثير من المستشرقين (١) ، وإلا فلماذا لم يتحرك العرب قبل إسلامهم ، للخروج من بلادهم إلى مثل هذا الغزو المنظم ، جريا وراء مصلحة اقتصادية أو توسع سياسى ؟ وإذا عرفنا أن العرب قد حبسوا قرونا طويلة فى بلادهم قبل الإسلام ، ثم أنهم لم يتحركوا إلى الفتح إلا بعد إسلامهم ، مع حبهم للديار وطول الألفة ، عرفنا أى سيطرة روحية دفعتهم إلى الخروج مجاهدين فى سبيل الله ، لا يبتغون إلا وجه الله والدار الآخرة !!

وإذا كانت حركات الجهاد فى سبيل نشر الإسلام ، قد جرت إلى المسلمين مغانم كثيرة ، وبسطت سلطانهم على بلاد كثيرة ، فإن ذلك جاء تبعا ، ولم يكن هدفا ، أو لم تعلم أن الله قد عاقب المسلمين عامة يوم أحد بالهزيمة ، لأن بعضهم جرى وراء الكسب والمنفعة ، ونسى الهدف الأول ، وأهمل تعاليم القيادة ؟ ؟ ولم ينس المسلمون بعد هذا الدرس التأديبى الخالد ، وكذلك لم يكن التوسع السياسى هدفا مقصودا قصداً أوليا ، فقد ترك المسلمون كل الإدارات المحلية فى البلاد المفتوحة فى أيدى الوطنيين من أبنائها .

على أن العنصر الاقتصادى والسياسى اللذين صاحبا الجهاد ، لو كانا مقصودين مع الدعوة إلى نشر الإسلام ، الإسلام الذى يمزج بين جميع الأجناس والعناصر ، ويسوى بين المسلمين جميعا من كل لون وجنس ، ويحاول إرجاعهم أسرة واحدة ،

---

(١) اقرأ أسباب الفتوح فى كتاب الخلافة للسير وليم ميور الانجليزى .

مكتبتنا العربية

لما جاز أن يكون ذلك القصد مأخذاً على الإسلام ، أو طعنا يوجه إليه ، فالإسلام لون جديد من ألوان الإصلاح يهدف إلى سعادة الإنسانية كلها فى ظلال الحرية ، والحق والعدل ، والبر والإحسان . وقد كان ذلك لازما لقضاء على الفساد المنتشر فى العالم كله ، والذى يعترف بوجوده قبل الإسلام جميع المؤرخين والمستشرقين !!

والمسلمون لا يحاربون غير أهل الكفر ، الذين يرفضون الدعوة إلى الله ، ويعتدون على المسلمين ، ويصدونهم عن سبيل الله ، ويحولون بينهم وبين دعوة الناس إلى دينهم ، ويرفضون السلام بدفع الجزية ، ويصرون على العناد وحرب المسلمين . ويحاربهم المسلمون لإقرار السلام فى المجتمع البشرى ، وإقرار حرية الاعتقاد ، وحرية الدين والتدين ، وحماية الدعوة ، والمحافظة على الدعاة ، ورد كل عدوان يقع على وطن المسلمين أو أعراضهم أو أموالهم ، ودفع العدوان حق لكل إنسان يقتضى قانون الفطرة ، ولو استنام المسلمون ، أو المصلحون فى أى عصر ، إلى كل اعتداء يقع عليهم ، لما تمت رسالة ، ولما تحقق إصلاح ، ولهذا كانت سنة الله أن يدفع الرسل والمصلحون كل عدوان على أنفسهم أو دعوتهم ، غير بادئين ولا ظالمين ، « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

٤ — لهذا يتجه الإسلام إلى إعداد المسلمين للجهاد إعدادا روحيا ، يملأ قلوبهم بالشجاعة والتضحية ، ويرفع معنوياتهم حتى لا تضيق بالآلام ، ويسمو بنفوسهم حتى تستهين بالشدائد ، وتطيب بالبذل ، فقتال العدو ، جهاد فى سبيل الله وليس حربا من حروب البغى والعدوان ، والعدو هو عدو الله ، والمجاهد باذل نفسه وماله لله ودين الله ، وجزاؤه الجنة والقرب من الله ، و « الجنة تحت ظلال السيوف » ، والمقتول فى سبيل الله ، شهيد يحيا عند الله حياة طيبة أسمى وأرفع من هذه الحياة ، ثم هو فى درجة النبيين والصديقين عند الله ، وبهذا يثير عواطف المسلمين فتندفع للسباق إلى الجنة ، فى سبيل الله . وقد يحرك العواطف بتحريضهم على إنقاذ الضعفاء من الشيوخ والنساء والصبيان المسلمين الذين يستضعفهم العدو ، ويذيقهم مر العذاب ، اقرأ فى ذلك قوله تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة . ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما . وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال

مكتبتنا العربية

والنساء والولدان ، ثم يرتفع بالمجاهد إلى أرفع المنازل ، ويقرر له جزاء غير محدود حين يقول للمسلمين : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم » ثم اقرأ بعد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليلها وصيام يومها » ، « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » ، « إن الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد عامله المحتسب[1] ، والرامى فى سبيل الله » ثم يذكر الله المسلمين بأنه قد قطع على نفسه عهدا للمجاهدين أن يدخلهم الجنة ، ويبرز هذا العهد فى صورة تعاقد[2] بين طرفين يوجب على كل طرف الوفاء بالتزاماته وهو عقد يقوم على البذل من المجاهد ، وضمان النصر والجنة له من الله . « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » ثم يربط الله صدق الإيمان بالله ورسوله وحبهما بصدق الرغبة فى الجهاد ، ويطلب من المؤمن الصادق البذل والتضحية ، غير مستجيب للشيطان ، ولا ملق بالا إلى ما يقعد الجبناء من خوف على النفس أو الأهل أو المال ، فيقول : « قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » وبهذا الأسلوب القوى ينتزع الله أسباب الضعف والجبن والخوف من نفوس المؤمنين ، ويزرع فيها الشجاعة ، وحب البذل ، والاستهانة بزخارف الدنيا فى سبيل الحق ونصرة الله ، ويجعل ذلك التخلص من المثبطات دليل الإيمان الصادق ، والاستجابة لها دليل التردد والتشكك والإيمان المدخول « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

---

(١) الصانع (٢) القرآن والقتال للشيخ شلتوت ص ٢٩ وما بعدها .

مكتبتنا العربية

فإذا حبب الأمة فى الجهاد رجاء القرب من الله ، وألهب عواطف المسلمين ، فأصبحت راغبة فى البذل ، راضية النفس مطمئنة ، عمد الى المجاهدين بالفعل فأخذهم بنوع من الإعداد أقوى ، وأغراهم بعدو الله وعدوهم ، ودفعهم بما ضمنه لهم إلى النصر دفعا . « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ؛ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » . فإذا هون عليهم من شأن العدو وأغراهم به قص عليهم ما يطمئن نفوسهم إلى نصر الله ، بما يحكيه عن المؤمنين السابقين ، « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » ، لأن الكثرة المتراخية التى لا يدفعها إلى القتال دافع روحى ، أو هدف تؤمن به ، لابد من هزيمتها أمام القلة التى يلهبها الإيمان ، ويشعل فى نفوسها روح القتال ، والرغبة الصادقة فى الوصول إلى الهدف المنشود ، وإمداد الله للمؤمنين المجاهدين بجنده ، « وما يعلم جنود ربك إلا هو » ليثبت فى قلوبهم الثقة بالفوز ، والإقدام ، « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » .

وهكذا يوجه المجاهدين إلى طلب الفوز ، ثم يعلمهم بأن الكثرة والقلة ، ليست إحداهما شرطا للنصر ، فالنصر بيد الله يعطيه لأحبائه ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، ثم يحرض المجاهدين على الاستمساك بالقوة ، والمثابرة على الجهاد فى سبيل الله . لأنهم دعاة الله ، وألسنة الحق ، وهم الأعلون ، ويرجون من الله النصر والجنة ، وليس للعدو فى الله رجاء ، « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم » ، « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون ، فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ... » ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . والموت فى سبيل الله هو أسمى حياة ، « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، وهكذا يتم الاعداد الروحى للأمة الإسلامية كلها ، ولرجال الجهاد بصفة خاصة ، « ويثبت المؤمنون على أهبة تامة للجهاد والبذل فى سبيل الله ، يرجون الله والدار الآخرة ، وما فيها من باقيات خالدات .

مكتبتنا العربية

البابية والبهائية

« الدين » البهائى

للأستاذ عمر طلعت زهران

أستاذ فى الآداب

— ٤ —

ظلت فارس ، بلاد
دين المجوسية حتى غزاه
ظلت على مجوسيتها
منها الحركات ال
نهضة أدبية قو
فى دنيا الا
فى العا
كا

الذى نافح الشر فى سبيل الخير ، تعتنق
س مسلمين فيما عدا جماعات قليلة
ت على تاريخ الإسلام ،
"حاسية ، أو حركات
ة أخرجت
عة

٦١٠

مجلة الأزهر

والنساء والولدان حين يقول لهم : لم يرتفع بالجاهد إلى أرفع المنازل ، و
« أيحلم ستاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى
القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند
الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم
خالدين فيها أبدا . إن الله عنده أجر عظيم » ثم اقرأ بعد هذا قول الرسول صلى الله
عليه وسلم : « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها وصيام يومها » ،
وعينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله ،
ثم يذكر الله المسلمين بأنه قد قطع على نفسه عبدا المجاهدين أن يدخلهم الجنة ،
ويبرز هذا العبد فى صورة تعاقد (٢) بين طرفين يوجب على كل طرف الوفاء بالتزامه ،
وهو عقد يقوم على البذل من المجاهد ، وضمان النصر والجنة له من الله ،
اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى
ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ،
فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز
الإيمان بالله ورسوله وجهادا بصدق الرغبة فى
على النفس أو الأهل أو
نها

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

كما شرحها فلاسفة العرب . فإن لم يكن هذا ، ولا ذاك، فهناك غرض يهدفون اليه ، كما سنتبين فيما بعد .

* * *

أعلن الباب فى شهر مايو سنة ١٨٤٤ ، أنه نبى جاء بدين جديد ، ينسخ الأديان السالفة [١] ، وأن على كل فرد أن يؤمن برسالته ، فالباب إذن - فى نظر أتباعه - نبى من أنبياء الله ، والأنبياء هم - كما يقول البهاء - : « أهم الشخصيات فى تاريخ الإنسانية ، تبين رسالاتهم الغرض الكامل لإرادة الله ، وتحدد مسارح تقدم الإنسانية » ، وكل مؤسسى الديانات عند البهائيين هم « رسل من لدن الله ، لا يعلو أحدهم على الآخرين ، فكلهم تجسد [٢] للروح المقدس » . وفى هذا يقول البهاء : « يعرف كل من أوتى قلباً خالصاً نقياً ، أن الله - الجوهر الذى لا تمكن معرفته - قد تعالى عن أفهام البشر ، لا يستطيع إنسان أن يفيه الثناء ، ولا قلب أن يفهم جلاله ، فإنه قد تحجب بأزلية جوهره القديمة ، وسيبقى فى حقيقته خافياً عن الأبصار » ثم يتمثل بهاء الله بالآية الكريمة « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير [٦ : ١٠٣] .

ورسالات الله [٣] ليست ، ولم تكن أبدا ، مختصة ببعض الأنبياء دون بعض ، فكل منهم حبيب الله ، ورسوله المختار ، وكلهم دون استثناء يحملون أسماءه ، وكلهم متجسد لروحه ، وهم إنما يختلفون فى كم الوحى وقوة النور الذى يأتون به ، فكما يقول الله فى كتابه الكريم : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » [٢ : ٢٥٣] ، ويؤول عبد البهاء هذا ، فيقول : « ليس من الضرورى أن نحط من قدر ابراهيم وأن نرفع من قدر المسيح ، وليس ضروريا أن نحط من قدر المسيح لننادى ببهاء الله ، بل واجبنا هو أن نقبل الحق من الله حيثما نجده » . وفى قول عبد البهاء تهرب من تفسير معنى الآية الكريمة ، فالبهائية « تعترف » بالإسلام ، وبأن القرآن من عند الله ، وهم فى محاولتهم التوفيق بين القرآن وبين آرائهم التى تخالفه ، يعمدون

---

(١) يلاحظ هنا تطور الحركة من المهدوية إلى رسالة جديدة .

(٢) يلاحظ الأثر المسيحى فى هذا النص

(٣) فى المذهب البهائى

مكتبتنا العربية

إلى المغالطات ، وإلى اصطناع المعانى الضخمة يغطون بها مخالفاتهم ، فكأنهم أقرب إلى التلفيق منهم إلى التوفيق .

يقول عبد البهاء : « إن ما يهدف إليه بوذا وكريشنا ومحمد وموسى وغيرهم من مؤسسى الديانات الكبرى ، هو نفس ما يهدف إليه المسيح وبهاء الله . » ونرى من هذا أن البهائية هى أول من يقول بنبوة بوذا وكريشنا . بل إن كل دين موجود فى العالم ، هو عندهم من عند الله ، وهم يأخذون به ولكنهم يدعون أتباعه إلى اعتناق « دينهم » الجديد ، لأنه آخر « دين » حتى هـــذا التاريخ . وهم لا يقولون إن البهاء هو آخر الأنبياء ، لا ، بل سيظهر بعد موته بألف عام نبي آخر ، على المؤمنين (البهائيين) أن يتبعوه .

والبهائيون بهذا يحذقون فن الدعاية ، فهم يحاولون اكتساب الجميع ، خاصة وهم ينادون بأن الرسول ليس شخصا منفصلا ، وإنما هو نقطة فى خط المعلمين ، قد أرسله الله برسالة خاصة ، وهو يظهر تحقيقاً لوعد [إلهى] سابق . فكل نبي قد بشر بمن سيأتى بعده : تنبأ بوذا أنه سيظهر بعده بوذا آخر يدعى ميتيا ، كما أبان أنه هو يكمل عمل نبي آخر سبقه فى إحياء الدين وإعادة خلق نظام قديم ، فمثله كمثل رجل يتجول فى غابة ، فيكتشف طريقا طالما سار فيه غيره ، فيتبعه حتى يصل إلى مدينة قديمة فى موقع جميل ، فيرجع إلى الملك أو الحاكم مخبرا إياه بما استكشف ، فيعيد الحاكم بناء المدينة ، وتصبح عامرة مأهولة . وهكذا وجد بوذا هذا الطريق الذى طالما طرقه بوذوات آخرون فى غابر الزمان ، ولما تبعه . تفهم الحياة ، ففهمها [1].

وقال كنفشيوس « إن عملى هو أن أوضح لا أن أخلق »

وتنبأ موسى بمقـــدم المسيح فى كلامه إلى الاسرائيليين ، فجاء فى سفر التثنية ١٨:٥ « يرسل اليكم الرب إلهكم ، من وسطكم نبياً منكم ، تستمعون إليه » ، وقال بطرس ٣ : ٢٤ Acts : « كل الأنبياء ابتداء من صموئيل ، وكل من يأتى بعده قد أنبى بهم من قبل . » وردد يوحنا المعمدان : ... « صوت شخص يصيح فى العراء أعدوا طريق الرب ، واجعلوا طرقه مستقيمة » ، بل إن المسيح نفسه ليقول :

---

(١) راجع كتاب البوذية : مسز رايس .

مكتبتنا العربية

إذا كنتم قد آمنتم بموسى ، فيجب أن تؤمنوا بى أيضاً » . وجاء فى سفر التثنية « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران . وأتى من ربوات القدس » وسيناء هو الجبل الذى نبى عليه موسى . وسعير نبى عليه عيسى ، وفاران من جبال مكة . أما ربوات القدس فإن أصحاب البهاء يرون أنها بشارة به ، وإن كان المسلمون يرون أنها محل نزول عيسى فى آخر الزمان .

وثمة آيات أخريات يأخذها البهائيون من التوراة والإنجيل ، يؤولونها ويصطنعون منها أدلة على صدق الباب ثم البهاء . وهم لا يقتصرون على ذلك ، بل يقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد اعترف بأن كل ما أتى به المسيح إنما هو من عند الله . وقال بحق « أنا المسيح » . وأتى برسالته على أنه آخر الأنبياء العظام الذين يأتون قبل ظهور الله للإنسان ، وقال أنا خاتم النبيين . ولا يعترف البهائيون بالطبع بالمعنى الحرفى لكلمة « خاتم النبيين » ، وإلا لبطلت « رسالة » الباب فالبهاء . وقد فسر الباب معنى « خاتم النبيين » فى « البيان » فقال « قل هو الختم الذى ليس له ختم فى الإبداع ، ولا بدء له فى الاختراع ، إذن يملأ الأرض فى ظهورات البدء تجليات الختم تشهدون » . بل ويحاول البهائيون الاستدلال - زوراً - من القرآن على رسالتهم المزدوجة ، فيؤولون الآية الكريمة « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون » فالنفخ فى الصور أول مرة هو شروق محمد صلى الله عليه وسلم ، أما النفخ فيه مرة ثانية فهو « ظهور » الباب والبهاء .

ولذلك كان الباب يؤكد أنه خليفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن محمداً عليه السلام قد بشر به ، وأن رسالته إنما تختص بالتبشير بأعظم بعث وأعظم رسالة .

وحين قال محمد صلى الله عليه وسلم « أنا خاتم النبيين » فإنه لم يكن يعنى بقوله هذا - فيما يزعمون - أن باب التعاقب قد أقفل إلى الأبد ، وأن أبواب الاتصال بين الله والناس لن تفتح بعده أبداً (١) ، بل لقد قال مراراً إنه سيرجع مرة أخرى ، وإذا ما قال نبى عظيم « سأعود مرة أخرى » فإنه يعنى استمرار الوحى وتعاقبه .

---

(١) [illegible] راجع مقالاتنا السابقة فى التصوف للرد على هذا الادعاء .

مكتبتنا العربية

فإن الأنبياء لا يرجعون - بأنفسهم - مرة أخرى إلى الأرض يحملون رسالاتهم من جديد ، وهم وإن كانت صفاتهم العامة مشتركة إلا أن شخصياتهم تختلف وتتباين ، مثلهم مثل النهر ، فإنه واحد ، وإن تغيرت مياهه ، أو كمصباح مضاء ، فإن ذلك الضوء لا يتغير ما دامت صفاته ثابتة ، ولكنه يختلف من ناحية عناصره التكوينية ، ولا يتغير الوضع إذا أطفىء المصباح ثم أوقد من جديد .

والنبي - مهما كانت لغته - إنما ينبىء عن النظام القدمى الدائم فى سبيل الله ، سواء فى المستقبل أو الماضى ، وقد لا يعترف أتباعه ، فيما بعد ، بهذه الحقيقة ، بل يذهبون إلى أنهم إنما احتكروا وحى الله ، وأن كل نبى ، خلا نبيهم ، ما هو إلا أفاق مغامر ، وليس ذلك إلا لأنهم لا يتبعون ، فى حقيقة الأمر ، تعاليم دينهم . (١)

أما الصفات التى يتميز بها النبي فهى البساطة والرقة والتواضع ، وأن علمه الإنسانى قليل ، ولا يتبع فى رسالته طرق الملوك أو الغزاة الفاتحين . ولا يستعين بنفوذ أسرته أو ثروته أو بالقوة والإجبار ، بل هو ضعيف بالنسبة لهؤلاء ، يبدو وكأنه لا حول له أمام القوة ، يتعرض كغيره ، من بنى الإنسان ، للمرض والجوع والعطش والتعب وغير ذلك ، وهو عدو سهل لأعدائه ومضطهديه ، (٢) ولكن الأنبياء ، كما يقول البهاء فى « الإيقان » : « جالسون فى يدى القوة ، ويشرق عليهم نور خالد من بين ظلمات حياتهم ، ومن بين مظاهر ضعفهم تظهر علامات الملك العريض » .

فقوة الأنبياء قوة روحية وعقلية ، من نوع ليس فى الإنسان ، بل وليس فى استطاعة الإنسان أن يتفهمه ، إذ أنها فوق إدراكه البشرى ؛ فهى قوة خالقة تعطى الإنسان قدرة جديدة : هى القدرة على التفكير والشعور . والنبي العظيم يأتى غالباً باسم جديد لله ، ليس عنوانا عليه ، وإنما يكون صلة إلهية ، إذ أنه يقدم للشعور الإنسانى برهاناً جديداً ، يتحقق به البشر الله .

ذلك عرض للفكرة البابية البهائية فى أمر النبوة ، وإلى المقال التالى نكمل الحديث ، ثم نعرض للغرض من « رسالتهم ! ! »

---

(١) المغالطة المنطقية فى هذا الحديث واضحة والغرض منها ايهام القارىء بأمرين ، أولها أن الوحى الالهى لم ينته بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والثانى أن البهاء نبى ! !

(٢) يلاحظ الأثر البوذى والمسيحى فى هذه الصفات .

مكتبتنا العربية

لعيني اللغـــة :

يفلح - لا يفلح

لفضيلة الأستاذ السيد حسن القاياتي
عضو المجمع اللغوى

استمعت إلى فضيلة صديقنا الأديب العالم الأستاذ إبراهيم أبو الخشب ، حيث كان يحاضر فى محطة الإذاعة ، لعهد مقترب ، فجرى فى محاضرته ما يأتى ، قال : الحديد بالحديد يَفلح ! .

تمثل الأستاذ المحاضر بهـــذا المثل ، فقاله بفتح الياء واللام ، كأنه يحسبه من الأفلاح والنجح ، وليس المثل فى شيء من هذا .

إن الصواب يتمثل بهذا المثل السائر المتعارف كما أصِفُ : الحديد بالحديد يُفلَح ، بياء مضمومة ، ولام مفتوحة ، ومعنى يُفلح : يشق ، ويُغلَلُ ، وبه سُمى الفلاحُ فلاحاً ، لأنه يشق الأرض بالحراثة ، وبالمسحاة ، والأفلح ، مشقوق الشفة .

وبعد : فمعذرة إلى فضيلة الصديق من هذه العربدة الأدبية . والشغب اللغوى ، فإن الأدب عزيز علينا مثله . ولا بد من الصواب ، للشباب .

أنت عينى وليس من حق عينى غض أجفانها على الأقـــذاء

مكتبتنا العربية

دعبل الخزاعى

لحضرة الأستاذ الشيخ محمود الدوادى
المفتش بالأزهر

شاعر من شعراء الدولة العباسية الماجنين المتذعين وإن كان من المتظاهرين بالحب للبيت العلوى الكريم فهو من ناحية العصبية للشيعة العلوية أشبه بالسيد الحميرى الذى تناولته من قبل على صفحات هذه المجلة . وهو من ناحية المجون والهجاء والاقذاع أشبه ببشار بن برد لم يسلم منه ملك ولا وزير ولا سوقة فى إقذاع وقحه .

وله مشابهة أخرى من ناحية أخرى فهو فى تلمذته لمسلم بن الوليد وأخذه عنه مع سلامة مذهبه وعدم تورطه فى البديع وقيوده أشبه شىء بالوليد البحترى مع أستاذه حبيب ، فكل من الأستاذين مسلم وأبى تمام كان يقسر طبعه أحيانا كثيرة على شىء مما يسمى الاستحسان ويعرضه شعره على تلك الصناعة تتصرف فيه بما تشاء فتفسد منه الشىء الكثير . وأما التلميذان دعبل والبحترى فقد سلم كل منهما فى الأعم الأكثر من الاستكراه وإنما كانا يعرضان تلك الصنعة على شعرهما فيأخذان منها ما يصلحه ويزيده جمالا وقبولا وعندى أن البحترى كان أقوم الجميع وأصفاهم ديباجة وأسلسهم أسلوبا (لقد أجاد فى سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى) وسأعرض للبحترى إن شاء الله فى مقال آخر يتجلى منه للقارئ الكريم فضله على غيره وتقدمه .

نشأة دعبل :

ولد دعبل بن على الخزاعى بالكوفة سنة ١٤٨ ودرس فى مدارسها مبادئ العربية والأدب ولكنه اتصل ببعض الشبان المتشطرين المفسدين فكان يطارد بها حتى خرج منها يضرب فى البلاد ويلتمس الشعر والأدب كما يتطلبه استعداده السليم وسترى طرفا من ذلك لقد أقام ببغداد مدة وهى مزدهرة بالعلم والأدب

مكتبتنا العربية

والمدنية والحضارة يجبى إليها ثمرات كل شيء ويتدفق فيها المال والعلم والأدب والشعر . وكان عصره عصر المهدى والهادى والرشيد والمأمون والمعتصم وكانوا من التشجيع للشعر والأدب بحيث يشجعون كل أطراف الأرض للإنتاج والعرض فى سوقهم الرائج وتقديرهم البالغ وقد أتيح له أثناء مقامه ببغداد الاتصال بالشاعر العربى الفحل مسلم بن الوليد الانصارى الذى يعد أستاذ مدرسة الشعر الصناعى البديعى والذى سن سبيله للشعراء فأخذ عنه وتحفظ من الاسراف فى البديع الذى تورط فيه أستاذه فكان أشبه بالبحترى مع أستاذ أبى تمام كما قدمت لك من قبل ولكن أستاذه مسلما لم يتورط فيما تورط فيه دعبل من حنق على خلق الله وإساءة حتى إلى من يحسن إليه . وقد يرجع حب الهجاء والطعن على خلق الله إلى لؤم فى نفس صاحبه لا ينجع فيه تهذيب ولا تحفر عليه صناعة .

فهذا ما ورط أمثال بشار ودعبل فى الإساءة حتى إلى من أحسن إليهما . وقد وصفه صاحب الأغانى فقال لم يزل مرهوب اللسان وخائفا من هجائه للخلفاء فهو دهره كله هارب متوار . ولقد دعاه ذلك إلى أن هجا أهل بيته وإن كفر بأستاذه مسلم فى شعره الذى يقول فيه .

غششت الهوى حتى نداعت حباله ... بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
وأزلت من بين الجوانح والحشا ... ذخيرة ود طالما قد تمنعا
فلا تعدلى ليس لى فيك مطمع ... تحرقت حتى لم أجد لك مرقعا
فهبك يمينى استأكلت فقطعتها ... وجشمت قلبى صبره فتشجعا

والواقع أن شعره فى الهجاء فى الأعم الأكثر منه قوى رصين تتجلى فيه رصانة مسلم بن الوليد صاحب الفضل الأول عليه ، وسترى تفصيلا لذلك فيما بعد عند الكلام على هجائه وشعره .

تقلبه فى البلاد :

قدمت لك أن دعبلا قضى شطراً من حياته فى الكوفة . وقد رأيت ما قاله أبو الفرج الأصبهانى من أنه قضى دهره هاربا متوارياً .

كان [illegible] أعرض لذلك بشيء من التفصيل والتصوير فأقول :

[illegible] حتى خرج هو ورجل

مكتبتنا العربية

من أشجع فيما بين العشاء والعتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة وكان يروح كل ليلة بكسبه إلى منزله ، فلما طلع مقبلا إليهما وثبا فجرحاه وأخذا ما فى كمه . ثم علم أهل الرجل ذلك ، وأبلغ الحاكم أيضاً ، فخرج أولياء الرجل فى طلبهما . وجدَّ السلطان فى ذلك أيضاً حتى طال على دعبل الاستشار ، واضطر إلى الهرب من الكوفة ، فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد . ويروى صاحب الأغانى رواية أخرى تقول إن دعبلا جنى جناية بالكوفة وهو غلام ، فأخذه العلاء بن منصور الأسدى وهو على شرطة الكوفة يومئذ فحبسه فكلمه فيه عمه سليمان بن رزين فقال أضربه أنا خير من أن يأخذه غريب ، فيقطع يده ثم ضربه ثلثمائة سوط ، فخرج من الكوفة فلم يعد إليها إلا عزيزاً - والظاهر أن تلك الجناية كانت سرقة ما دام عمه قد خاف قطع يده وسواء أكان الحاكم قد أخذه أم لم يأخذه ، وكان عمه قد ضربه أم لم يضربه ، فقد ثبت أن دعبلا لم يقم بالكوفة ، ولم يستقر بها أكثر من باكورة صباه ، ثم سار يطوف فى بلاد الله إن لم يكن للجناية ، فللهرب من قوارص لسانه ، ومن جناية هجائه الفظيع ، على أن رواية ثالثة تقول إن دعبلا كان يتشطر وهو شاب ، وكانت له شعرة جعدة ، وكان يدهنها ويرجلها حتى تكاد تقطر دهنا ، وكان يسلط على الناس بالليل ، فقتل صيرفياً وظن أن كيسه معه ، فوجد فى كمه رماناً فهرب من الكوفة ، والكل كما ترى متفقون على أنه هرب من الكوفة .

وفى أخباره ما يدل على أنه كان مستقتلا ومقدراً لنفسه مصيراً سيئاً ، قال صاحب الأغانى حدث إبراهيم بن المدبر قال لقيت دعبل بن على فقلت له أنت أجسر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول فى المأمون :

إنى من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال له يا أبا إسحاق أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبنى عليها ولقد كذب دعبل فى هذا الزعم فقد كان جبانا فروقه .

إلا أن يكون قد قصد بالخشبة هذه الأعاجيب المفظعة التى تحفز إلى التفتيش عنه ومحاولة الفتك به وإن كان فى بروج مشيدة .

مكتبتنا العربية

فى تفسير القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الغنى عوض الراجحى
المدرس بالأزهر

فى باب التفسير فى هذه المجلة الجليلة قرأت فى تفسير سورة البقرة مقالات متتابعة دفعنى إعجابى بها إلى متابعتها قراءة لها وإمعانا فيها . ثم ازداد إعجابى بها حين رأيت آخر هذه المقالات فى تفسير قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » تتعرض للمقارنة بين العبارات المتشابهة مما يجلى به إحكام القرآن وإعجازه ، ثم دفعنى ذلك كله إلى التعقيب على بعض الآراء التى أعتقد أن فيها مجالا كبيراً للتعقيب ، والتى أحصرها فى ثلاث مسائل :

الأولى : لم كان التعبير بالختم على القلوب والسمع ، وبالغشاوة على الأبصار ؟

الثانية : لم كان القلب مقدما على السمع فى هذه الآية مؤخرا عنه فى آية الجاثية « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » ؟

الثالثة : لم جمع القلوب والأبصار فى آية البقرة وأفرد السمع ؟

يقول الكاتب الفاضل فى المسألة الأولى : إن آفة البصر معروفة مدركة إذ غشاوة العين معلومة لنا ، وأما القلب والسمع فأنهما لما كانا لا تدرك آفتهما فقد صور لنا حواجزهما عن سماع الحق بصورة الختم ؛ لذا نراه فى جانب القلب والسمع قد عبر بالختم ، وفى جانب العين بالغشاوة .

هذ كلامه . وأحب أن أعقب عليه بأن السمع كالبصر كلاهما حاسة من الحواس الظاهرة لها آفاتها التى تدرك وتعرف وتحول بينها وبين مدركاتها من المسموعات والمبصرات أيا كانت هذه الآفات وأيا كانت طرق المعرفة والإدراك لهذه الآفات . ولئن صح القول بعدم إدراك آفة القلب لأنه حاسة باطنة وقوة مدركة عاقلة فلن يصح ذلك بالنسبة لجارحتى السمع والبصر .

مكتبتنا العربية

وقد رأينا القرآن يستعمل بجوار السمع ماهو من قبيل الآفة فيه وهو الوقر ، فى السور : الأنعام ، والإسراء ، والكهف قوله تعالى : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً . ويستعمل بجوار البصر الختم فيعبر بالطبع وهو كالختم فى سورة النحل فى قوله تعالى : « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون » . ويستعمل بجوار القلب أشياء ليست من قبيل الختم كالرين والمرض فى قوله تعالى فى سورة المطففين : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وقوله تعالى فى سورة البقرة : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » .

كما أنه يجوز أن يكون الوقف فى آية البقرة على قلوبهم ويستأنف وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فتكون الغشاوة بالنسبة للسمع مستعملة وهى ما يغشى ويغطى ، بل إنها قد تكون بالنسبة للثلاثة القلب والسمع والبصر على قراءة نصبها بتضمين ختم معنى جعل .

فإذا كان ذلك كذلك وكان ما ذكر على أنه السر لا يصلح أن يكون السر لأنه غير سليم ولا مسلم ولا مطرد ، فإن السر حق السر - فيما أرى - هو أن هذه الثلاثة القلب والسمع والبصر جاءت فى هذه الآية آية البقرة مع التعبير المجاور لها ثلاثتها على ترتيب أهميتها فى تحصيل الهدى والإيمان . فالقلب هو العمدة على سائر الجوارح وهو حوض الولاية والإيمان وهو بحيث يحصل الهدى والمعرفة مستقلا عن كثير من الجوارح والحواس الظاهرة . وهو إذا صلح صلح الأمر كله ، وإذا فسد فسد الأمر كله ...

والسمع يتلوه فى الأهمية ، فهو منفذ الهدى والمعرفة إليه ، والدعوة قائمة فى جوهرها قرآنها تبليغها تبشيرها وإنذارها على السمع : يأخذ القلب إيمانه ومعرفته عن طريقه دون حاجة إلى البصر ودون أن يغيب عن القلب بغياب البصر أمر خطير ... ثم يتلوهما فى هذا الباب البصر[1] .

وعلى ذلك فكم كان من إصابة المحز بمكان أن يبدأ فى مقام إثبات الضلال ووصفه بذكر القلب والختم عليه ، ويثنى بالسمع والختم عليه ، ويثلث بالبصر

---

(١) المقصود بالنظر فى أكثر الآيات التى تحيث النظر وترفع درجته هو النظر العقلى

مكتبتنا العربية

والغشاوة عليه . والختم أقوى من الغشاوة فى منع نفوذ المدركات إلى الحاسة . والختم على القلب والسمع أشد التصاقا بما سبقه فى الآيات مباشرة من أنهم لا يؤمنون ، وأنهم سواء عليهم أأنذرهم النبي أم لم ينذرهم ، وهو منه بمنزلة البيان من المبين [1] . أما أنهم على أبصارهم غشاوة فكالتتمة لبيان تمام ضلالهم ، وهو فى الأهمية وفى الالتصاق بالآية السابقة ثالث وأخير ، فلم ينتظم مع سابقيه فى سلك واحد لا فى الختم ولا فى إسناده إلى الله تعالى .

هذا هو الأصل فى أمثال هذه المقامات ، مقامات الضلال والحديث عن ضلالهم وعنادهم : منزلة القلب التقدم على أخويه ، ومنزلة السمع التقدم على البصر . فهذه هى آية البقرة التى معنا كانت على هذا النمط . وتلك آية النحل التى سبق ذكرها جاءت على هذا النمط ، وفى سورة البقرة فى أكثر من آية قوله تعالى « صم بكم عمى » وفى سورة فصلت ، وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب » وفى سورة الأنعام « ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا » . وفى كل من الاسراء والكهف « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا » ، فإن خواف هذا الترتيب فى آية فهى إما فى غير هذا المقام من مقامات الكلام الأخرى فى القرآن أو فى مثل هذا المقام . ولتغير الترتيب فيها سر زائد يقتضيه . من القبيل الأول قوله تعالى فى سورة الأنعام « قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به » وقوله تعالى فى سورة الأسراء « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » فإن الآية الأولى فى مقام التهديد ، فتقدم ما المهدد له أفهم وأسرع إدراكا وتخوفا ، والآية الثانية فى مقام النهى عن تتبع الإنسان ماليس له أن يتتبعه . فتقدم ما به التتبع أول وأظهر وأكثر ... ومن القبيل الثانى قوله تعالى فى سورة الأعراف « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » وقوله

---

(١) ولعله سر فى تقوية المعنى بذكر حرف الجر [على] قبل كل واحد من الثلاثة وقد اكتفى بذكره مرة واحدة قبل الثلاثة فى آية النحل .

مكتبتنا العربية

تعالى فى سورة الجاثية « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » فقد تأخر السمع عن البصر فى الآية الأولى ليكون أقرب إلى ما ذكر عقبه من تشبيههم بالأنعام وغفلتهم ، فإن عدم السمع أدخل فى باب التشبيه بالأنعام من عدم البصر ، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداء صم بكم عمى (١) ، وتقدم السمع على القلب فى الآية الثانية لأنها فى سياق التنديد بمن يسمع ولا ينتفع بما يسمع ، ولسياق السورة التى منها هذه الآية وهى سورة الجاثية مزيد اعتناء بإبراز هذا المعنى من أول قوله تعالى فى مطلع السورة « ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم . وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا » فلا عجب والمقام مقام تنديد بسمع لا يجدى واستماع لا يفيد أن يتقدم السمع على القلب . ألا يرى إلى قوله تعالى فى نفس الآية « وأضله الله على علم » فإنه مشير إلى أنه يسمع ويعلم ثم يصر مستكبرا ويولى كافرا كأن لم يسمع ؟ ؟

إلى هذا الحد من الكلام وبهذا المقدار منه يكون ما أردت التعقيب به على المسألتين الأولى والثانية قد فرغ منه وبت فيه . أما الثالثة فيقول فيها إنه أفرد السمع لأن القلوب تختلف باختلاف ما تفهمه ، وكذلك الأبصار تختلف فى عمق تدبرها ، أما المسموع فهو بالنسبة للناس جميعا شىء واحد : الحجة الدليل . القرآن . هذا كلامه ، وأحب أن أعقب عليه بأنه إذا كانت الأبصار تختلف باختلاف مقدار ما تدركه وتنتفع به من المبصرات ، وكذلك الأسماع تختلف باختلاف مقدار ما تدركه وتنتفع به من المسموعات ، وكما أن المسموع فى نفسه شىء واحد وكذلك المبصر فى نفسه شىء واحد هذا بذاك ما تدعيه فى أحدهما ثبت للآخر لا فرق بينهما فى هذا المعنى ... وإذا كان ذلك كذلك فإن السر فى إفراد السمع مع جمع أخويه القلب والبصر فى الآية الكريمة لا يعدو أن يكون كونه جاء بلفظ المصدر (٢) والمصدر بالأفراد كاف لا يعدل عنه إلا بتكلف ، وعند ما ينتقل التعبير القرآنى من لفظ السمع إلى لفظ الأذن وهما واحد والمسموع واحد نراه يعمد إلى الجمع بدلا من الأفراد : فى آذاننا وقر ، فى آذانهم وقرا ، لهم آذان لا يسمعون بها .

انتهى ما أردت التعقيب به . والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه ؟

---

(١) الآية من سورة البقرة والتقدير - ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى - الخ

(٢) ارتضى القرطبى هذا الوجه قول الألوسى فيه إنه ليس بشىء - وليس بشىء ،

مكتبتنا العربية

من كتائب النصر

كتيبـــــة الاهوال (١)

فى يوم الجراثيم

للعضيد الأستاذ الشيخ ابراهيم على شعوط
المدرس بكلية اللغة العربية

فى الأمر المريج ، والليل البهيم ، وعند التباس الطرق تلتمس المخارج ، ويحتال على تفريج الكرب ، وسلوك الجادة حتى تبدو الغاية واضحة ، والهدف قريباً .

وليس لليل الذى نحن فيه من نهار ، ولا للحصول على الحق من سبيل بعد ما استنفدنا جميع وسائلنا ، ونضب معين الحجج فى ميدان الجدل العقيم ، وبان لذى عينين أننا أخطأنا الطريق ، وانحرفنا عن الجادة ، وفقدنا قوة الحق التى فى أيدينا .

وسبيلنا أن نرجع إلى ماضينا المجيد الذى يشع نوره بين ظلمات التاريخ المستمد منه قبساً نهتدى به فى ظلمات حاضرنا المعتم ، ومستقبلنا المخيف .

وهذه صورة من قوة الإيمان ، وشدة اليقين ، وبذل المهج الغوالى فى سبيل الحق وركوب الأخطار ، ومقاساة الأهوال لجماعة من أسلافنا حطمت كل مقاومة . وأسكتت كل صوت ، وقضت على أكبر دولة فى عصرها وهى دولة الفرس وتركت كسرى يهيم على وجهه بعد ما دخلت بلاده فى حوزة المسلمين الذين رفعوا راية الحق ، وقاتلوا فى سبيل الحق حتى عرفوا بين الناس بنصرة الحق وتأييده .

حدث ذلك بصنع الكتائب ، وبسالة القواد ، وتفانى الجنود فى فتح المدائن عاصمة الدولة الفارسية وكرسى مملكتها ذى التاريخ المجيد .

كانت موقعة القادسية أشد ما لاقاه المسلمون فى أرض العراق من قوة الطعان

---

(١) راجع الطبرى جـ ٢ ص ١١٩ وابن الأثير جـ ٢ ص ٣٥٦ .

مكتبتنا العربية

وقسوة النزال ، وتأهب الخصم واستبساله إلى حد الاستماتة حتى تردد المعركة بين الفريقين وكانت سجالا بين الجيشين ؛ فيومها الأول يوم « أرماث » كان للفرس على العرب فباتوا على أحر من الجمر ثم تلاه يوم « أغواث » فاعتدل ميزان المعركة وأحس العرب بقوة فى جانبهم ثم كان يوم « خماس » و« ليلة الهرير » التى تقرر فيها المصير فأصبحت منطقة القادسية كلها فى قبضة سعد بن أبى وقاص قائد المعركة . ثم أمر جنده بتتبع الفلول ، وتطهير الأرض من بقايا الفرس المحاربين .

صدرت أوامر سعد لجنده بالمسير فى ركاب النصر إلى الأمام فطوت خيولهم مسافات ومساحات دخلت كلها فى ملك أيديهم فأصبح حوض الفرات جميعه أرضاً مسلمة ، وأصبحت أرض الجزيرة بين دجلة والفرات من فتوحات المسلمين ، وما زالوا فى طريقهم نحو الشرق حتى وجدوا أنفسهم على شاطىء دجلة دون أن ينتهى الشوط أو تسقط العاصمة .

ولم يبق للفرس من أمل فى رد هذه الموجة الظافرة إلا من وراء دجلة وفى جانبها الشرقى حيث العاصمة وكرسى الأكاسرة .

ومع هذا فإن العزيمة المنهارة ، والارتباك الذى حل بالقادة جعلهم يفكرون فى نقل عتاد كسرى وكنوزه وأمواله إلى حلوان التى تبعد كثيراً عن العاصمة . وقرروا أن تكون المدائن خط دفاعهم بعد القادسية عن المدن التى تليها من الشرق فحصنوا أنفسهم هناك وجمعوا السفن الماخرة فى دجلة وقطعوا الجسور حتى لا يصل اليهم جيش العرب الذى لم يعرف السباحة ، ولم يجد الملاحة .

والبحر عند العربى فى هذا الوقت شىء رهيب يعتبر خوضه أو ركوبه منتهى الخطر ؛ ولم تكن سفينة العربى سوى ناقته التى يقطع بها الصحراء المرملة ، ويواجه بها أعاصيرها .

لذلك لم يكن عجبا أن يقف العرب فى أول أمرهم على شاطىء دجلة مكتوفى الأيدى ، وعيونهم شاخصة إلى الأمواج المتلاطمة ، ونفوسهم حيرى أمام النهر الذى يقذف بالزبد ، ويرمى بقطع كالجبال فى وجوه المتربصين بالعاصمة .

كان ذلك فى شهر صفر من عام ١٦ هـ وكانت العاصمة الفارسية ذات قسمين على ضفتى دجلة . القسم الشرقى منها يسمى المدائن وهو مقر الأكاسرة ومركز

مكتبتنا العربية

الحكم فى الدولة والقسم الغربى يسمى [بهر سير] على الشاطىء الغربى من دجلة وهذا هو الذى نزل به سعد وجنده ومكثوا أياما يفكرون فى العبور إلى المدائن الكبرى حيث ايوان كسرى ومحتوياته .

ولكن أنى لهم ذلك والنهر هائج مضطرب يفور ويثور ويقذف بالزبد كهدير الجمال ؟ يطغيه المد فيخشى جانبه ثم يحسره الجزر فيفكر الجيش فى العبور .

وهنا تظهر بطولة الأبطال وتعلو قيم الرجال حين يخطب سعد فى رجاله قائلا [إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون اليه معه ويخلصون اليكم إذا شاؤا فى سفنهم يناوشونكم ، وليس وراءكم شىء تخافون أن تؤتوا منه . قد كفاكموهم أهل الأيام . وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذوائبهم . وقد رأيت من الرأى أن تجاهدوا العدو قبل أن تحصدكم الدنيا . ألا أنى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم] فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

وهنا ندب سعد جميع الناس إلى العبور . ولكن كيف يتم ذلك وفى الشاطىء الشرقى فراض ؟ وهى الأماكن التى يستقى منها وليس فى إمكان من يعبر النهر أن يخرج إلى الشاطىء إلا من هذه الأماكن فلا بد من حمايتها قبل عبور الجيشين حتى تضمن سلامة الجموع السابحة فى الماء . فنادى سعد بن أبى وقاص فى جماعة المسلمين قائلا : من يبدأ ويحمى لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعهم الفرس من العبور ؟

وهنا قام عاصم بن عمرو وقال : أنا أيها الأمير أول من يعبر النهر .

ليحمى الفراض حتى ينتهى الجيش من عبوره ، واختار معه ستين فارسا ، كون منهم كتيبة ، عرفت فيما بعد [بكتيبة الأهوال] وقام من ورائه القعقاع بن عمرو فى كتيبة ، عرفت بالكتيبة الخرساء (١) .

أما طريقة عاصم فى هذه المغامرة الخطيرة . فكانت غاية فى العجب من ذكائه وأسلوبه . ذلك أنه عمد إلى الخيل ففصل بين ذكورها وإناثها ، وأمر راكبى الإناث بالنزول أولا ثم أتبعهم بالخيل الذكور حتى يحدث الطراد بين الذكور والإناث فلا تؤخذ الخيل بشدة الأمواج وقسوة السباحة ، وتزيد سرعتها فتأتى على النهر فى وقت قريب .

---

(١) الطبرى جـ ٣ ص ١١١ .

مكتبتنا العربية

فتصور كيف تسبح الخيل فى طرادها وإن لها لصهيلا ، وصفيرا فى زفيرها وشهيقها تنفخ الماء فى الهواء وتنفض أعرافها وهى تسبح فى لجة من عرقها وتشق العباب مذعورة من مطاردها . ثم تصور هذه الخيل فى نهاية شوطها ، وقد أنهكها السبح فى الماء ، وتصور حال راكبيها وقد سالت أرواحهم على صفحة النهر ، وتلاشت أعمارهم فى عبابه وقد لاح لهم البر فتعلقت به آمالهم ، وبسمت لهم الحياة من بعيد .

وبينما هم يستنفدون بقايا جهدهم ، ويبذلون الرمق ليثبوا الوثبة الأخيرة إلى بر النجاة وساحل الحياة : وإذا بجموع الفرس تخوض البحر بخيلها لترد الكتيبة الباسلة إلى الشاطىء الآخر أو إلى أطباق الأمواج ، ولكن صرخة من عاصم قائد السابحين صدرت من أعماق قلبه ، ومن مصدر إيمانه ، فردد صداها النهر من جنبانه حتى وضحت بين صهيل الخيل وعراكها مع الأمواج . هذه الصرخة كان عاصم يقول فيها لكتيبته [الرماح الرماح أشرعوها وسددوها إلى عيون الأعداء ووجوههم] ففتحت هذه الجمل باب الأمل وبدأ النضال بالنبال فى مكان حساس فى القتال تسدد المسلمون سهامهم وشرعوا رماحهم وأرسلوا وابلا من النبال إلى عيون القوم ووجوههم ، فأصابت عيون القوم فى عيونهم حتى انقلب الضياء ظلاما من العمى والعور ، فلم يجدوا سبيلا سوى الفرار من وجه كتيبة الأهوال إلى حيث يظنون النجاة .

خرجت خيول عاصم وكتيبته من لجة البحر تنفض أعرافها ، وتمد خصورها واتجه كل فريق الى فرضة فى النهر يحرسها ، وأصبح الشاطىء الشرقى من دجلة فى حراسة المسلمين .

أدرك سعد بن أبى وقاص القائد العام أن عاصما قد حمى الفراض ، وأن جموع الجيش المرابط على الشاطىء الغربى قد صار فى إمكانها أن تعبر النهر إلى إخوانهم فى أمان واطمئنان فأذن للناس فى الاقتحام .

وبينما سعد يرى اندفاع الفرسان والبحر فى هياج واضطراب وقعت فى قلبه الرهبة من دجلة الغاضبة ، وأدركه الخوف على الجند الذين ألقوا بأنفسهم إلى الماء تنفيذا لأوامره فقال لهم قولوا جميعا [نستعين بالله ، ونتوكل عليه . حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم] .

مكتبتنا العربية

«زهد الرعاه»

للمصير الأستاذ الشيخ محمد خليفة
المدرس بالأزهر

اللهم قبسا من نورك الذى وسع السموات والأرض ، يهدى النفوس الحائرة بين ظلمات المادية . ويربطها بشعاع من روحانية السماء ، وينجب للحياة رجالا يعيشون للمجتمع لا لأنفسهم ، ويتفانون فى إسعاد أممهم لا ذواتهم رجالا تشرق فيهم روح عمر بن الخطاب فى تقشفه . وحفيده عمر بن عبد العزيز فى زهده .

إنهما مثلان خالدان للتقشف والزهد تجردا من مادية الدنيا ومتاع الدنيا ، واستذبا مرارة الحرمان ، واستمرأ خشونة العيش ، وإن روعة التقشف لا تتجلى فى معدم يقضم كسرة جافة أو يزدرد لقمة متعفنة ، ولكنها تتجلى فيمن يملك خزائن المال ، ويحرم نفسه منه ليحيى به غيره ، ويعيش بنفسه فى دنيا من الفاقة والبؤس فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى فتحت جيوشه بلاد فارس ، وأخضعت بلاد الشام وملكت مصر وعج بيت ماله بما حوى إيوان كسرى ، وما يغل دجلة والنيل والفرات عمر هذا يعيش كجمهرة الناس يلبس ما يلبس الناس ، ويركب ما يركب الناس ، ويفترش الثرى مع الناس ، إنه يؤمن بأن أمير المؤمنين مسئول بين يدى الله عن المؤمنين مسئول عن أخلاقهم ومعاشهم وأمنهم وراحتهم . مسئول عن الدالجين فى ظلمات البيد والهاجعين بين أفياء الحضر ، فيعيش بيته على خمسة دراهم فى اليوم تنفق فى طعامه وطعام أهله ليوفر لغيره من المسلمين ما يقيم أودهم ، وإنه يعس لعله يجد بين الأكواخ كهلا حطمته السنون ، لا يستطيع الكدح فى طلب العيش أوعساه يلقى أرملة أقعدها الحياء عن السؤال ، إنه يرهب سؤال ربه عن أمثال هذين وغيرهما ، ويرى أن حساب الخليفة عسير ، ومن ثم فهو ينكر على من رشح ابنه عبد الله للخلافة قوله ويجيبه : حسب آل الخطاب أن يسأل واحد منهم عن أمة محمد .

لقد بنى عمر نفوسا صالحة للولاية والعمل ولغير الولاية والعمل .

يبنى الرجال وغيره يبنى القرى شتان بين قرى وبين رجال

مكتبتنا العربية

لقد نشأ الأمة العربية نشأة تجلت فيها سياسته العظيمة الذى يكشف عنها كتابه إلى أبى موسى الأشعرى .

« وقد بلغنى أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها هم إلى السمن ، وإنما حتفها فى السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام » .

وهكذا تشدد عمر على عماله ليعيشوا كما يعيش الناس منهم المثل يقتدى بها ، وكما يكون الراعى تكون الرعية .

دخل عمر منزل أبى عبيدة فلم ير إلا لبدا ، وإناء وقربة بالية وسأله عن طعامه فأخرج له من سلته كسيرات ، فبكى عمر وقال : غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة

أى دنيا تلك التى غيرتك يا عمر ؟ ترى هى دنيا الحرمان التى عشت فيه تحاسب زوجتك على الخمسة دراهم التى أدخرتها من قوتها وصنعت لك بها حلوى فأبيت إلا أن تحرمها وتحرم نفسك وتحمل الحلوى إلى بيت المال ؟

ولم يكن عمر ولا أبو عبيدة وحدهما الذاهدين بين المسلمين ، ولكن بين المسلمين الكثير من أمثالها فمعاذ بن جبل يرسل إليه عمر بأربعمائة دينار . وهو وال ليستعين بها على العيش . فينفقها معاذ على الفقراء إلا قليلا طلبته امرأته منه لحاجتها ويعلم عمر بما صنع فيقول : الحمد لله الذى جعل فى الإسلام من يصنع هذا . وكيف لا يصنع هذا وأكثر من هذا فى عهد الخليفة الزاهد عمر . إن معاذ بن جبل لا يريد أن تفتحش نفسه بأربعمائة دينار ، وإلى جانبه فقراء قد لا يجدون لتيمات بل إن معاذا رأى سعادة نفسه فى إسعاد غيره .

وسعيد بن عامر عامل حمص يشتكيه أهلها إلى عمر ويطلبون منه عزله لأنه لا يخرج للناس حتى يرتفع النهار ، ولأنه لا يجيب أحدا بليل ، ولأنه يعتزل الناس يوما فى الشهر لا يخرج فيه ويسأل عمر عنه فيعلم أن خادمه يغسل كل يوم جبته ويخيطه بنفسه ثم يخرج وأن ليله يقضيه فى العبادة وأنه يغسل ثيابه مرة كل شهر فيبعث إليه عمر بألف دينار ليستعين بها فيفرقها سعيد على جيوش المسلمين فأى نفس كانت نفس سعيد هذا ؟ إنها النفس الملائكية التى ارتفعت عن المادة وسمت

مكتبتنا العربية

فى الساعة التى يصل فيها إلى يده ألف دينار يقسمها على جيوشه ويعود إلى بيته كما كان يخدم نفسه ويغسل ثيابه .

وقد جاء سعيد هذا إلى المدينة فلم يجد عمر معه غير عكاز يحمل عليه زاده ، وقدح يأكل فيه فلما رآه عمر أكبر فيه زهده وورعه .

إنها السياسة الرشيدة من عمر : يجبى الخراج ثم يصلح به أحوال الناس فى الصقع الذى جبى منه ، ويأمره الخليفة على هذه السياسة ، ثم هو بعد ذلك ينكر على عمر تجديد العهد له لأنه عرضه الى إيذاء نصرانى ! ألا فليسمع أولئك الذين يتهالكون على الحكم لا ليبنوا لأممهم مجدا ، وإنما هو السلطان أو حب الظهور أو حب الانتقام ! إن أولئك وهبوا حياتهم للشيطان فلا يشتهون الحكم إلا ليعذبوا البشرية المسكينة المظلومة .

وكما حاسب عمر نفسه وتشدد فى حسابها ، حاسب عماله ، وتشدد فى حسابهم : فقد قيل : إنه مر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له بالبحرين ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ! وشاطره المال : كما صادر أموال عمرو بن العاص ، وهو القائد العظيم الذى فتح مصر وحكمها . وساعده خصبها على إنماء ثروته

وصادر أموال أبى هريرة وهو من السابقين الأولين . وصادر أموال سعد ابن أبى وقاص خال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما حابى ذلك النسب ، ولا تملق ذلك الحسب .

وصادر أموال خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، الذى نصر الله به المسلمين فى كثير من معاركهم ، فلم تمنعه مكانة خالد الحربية ، ولا منزلته القرشية من مصادرة أمواله لحساب المسلمين لا للهوى والغرض .

وقد تقبل منه هؤلاء المصادرة طيبة نفوسهم ؛ لأن عمر حرم التجارة واستثمار الأموال على ولاة الدولة وعمالها ليحبسوا جهودهم وعقولهم لخدمة المسلمين .

وأما أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فكانت خلافته كلها زهداً فى الدنيا وإعراضاً عن متاعها . فأول عمل بدأ به خلافته أنه نزل عن أملاكه التى ورثها عن أبيه ، لأن أباه لم يشترها بماله ، وإنما أقطعها كغير من أمراء بنى أمية ، فهى حق المسلمين ، كما قطع عن بنى أمية جوائزهم وأرزاق حراسهم ، ورد ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل قطائعهم ، وبذلك سوى بينهم وبين غيرهم من المسلمين .

مكتبتنا العربية

وإنه لعظيم أن يبدأ بنفسه فيرد أمواله إلى بيت المال ، ثم يثنى بأهله فيقطع عنهم ما فرض لهم من جوائز ؛ فليس أبناء أبى سفيان أو مروان أعظم عند الله والناس من أحفاد رسول الله صلوات الله عليه أو غيرهم ، فالناس سواسية ، لا فضل بالإمارة وإنما الفضل بالتقوى وزينتها الزهد .

ولقد كانت غلة عمر بن عبد العزيز من أرضه حين بويع بالخلافة خمسين ألف دينار (٢٥ ألف جنيه) وما زال يرد إلى بيت المال أرضه حتى بلغ ما تغله الأرض التى يملكها عند وفاته مائتى دينار (١٠٠ جنيه) فى السنة .

ولقد خصص لبيته درهمين نفقة فى اليوم ، فقيل له إن عمر بن الخطاب كان يأخذ من بيت المال خمسة دراهم فى اليوم ، فقال : إن ابن الخطاب لم يكن له ما ينفق منه أما أنا فلى من المال ما يعيننى .

وما أتقى نفس الخليفة عمر بن عبد العزيز حين رأى زوجته فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان فى ثوب كان قد أهداه لها أبوها ، وقد نسج بالذهب ونظم بالدر ، فقال لها : اختارينى أو اختارى الثوب ، فإن اخترت عمر فسأجعل الثوب فى بيت مال المسلمين ، وإن اخترت الثوب فلست لك بصاحب ! فقالت : أعوذ بالله من فراقك يا أمير المؤمنين ! فضم الثوب إلى بيت المال .

وهكذا رأى عمر فى ذلك الثوب ما ينم عن البذخ والإسراف ، وكيف يضمه بيت مع امرأة ليس لها إحساس عمر ! .

حسبك يا عمر شهادة ملك القسطنطينية الذى بكاك حينما نعيت إليه وقال : « لم أعجب لهذا الراهب الذى ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ، ولكننى عجبت لهذا الراهب الذى صارت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب »

أيها المسلمون الذين زخرت خزائنهم بكنوز الذهب وملكو الضياع وشادوا العمائر ، ورفلوا فى نعيم الدنيا ، وعاشوا لشهواتهم وبطونهم : هذه صور من زهد الرعاة وتقشف الحاكمين وسياسة الراشدين ، لعل فيها ما يخلق فى المسلمين جيلا جديدا من الحكام والمحكومين يبنى للإسلام مجده ، ويخلد للتاريخ السنة شاكرة ، ويعمل للآخرة ، والآخرة خير وأبقى ؟

مكتبتنا العربية

جامعة اسلامية

جريدة التيمس — الطبعة الأسبوعية
الصادرة فى يوم الأربعاء ٥/٤/٥١

مصر هى بلاد الآثار القديمة وجامعة القاهرة العظيمة « الأزهر » يرجع تاريخ بنائها إلى نحو ألف عام مضت فقد بناها فيما بين سنة ٩٧٠ ، ٩٧٢ من الميلاد أحد أرقاء الرومان المسيحيين الذى اعتنق الإسلام فى عهد الفاطميين إبان حكم الخليفة المعتز ، وكان المفروض فى أصل بنائها أن تكون مسجدا ، ولكنها منذ سنة ٩٨٨ ميلادية أصبحت جامعة . وفى خلال القرن الثانى عشر أسس على أن يكون القوة التى تذود عن حوض الشريعة الحنيفة الإسلامية وحامى حمى اللغة العربيـــة : لسان نبى الإسلام .

وإن أيام الأزهر العظيمة كانت من حساب عصرها الماضى ، ولكن بهاءها أخذ يعتم فى عهد الأتراك وحكم المماليك فى مصر ، عاكسة بذلك صورة تدهور تعاليم الإسلام والاهتمام الزائد بتكرار الدراسة العقيمة للعقائد ، تلك الدراسة التى اتسمت بها القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر .

وفى بداية القرن الحالى قصرت الدراسة فى معظمها على « دراسة العلوم التقليدية القديمة ، المبنية على الوحى الإلهى ، وبالتالى المجرد عن كل نقد ، وقد كان هناك ميل إلى دراسة « العلوم العقلية » مثل النحو والإعراب والعروض والبلاغة والمنطق . ولكن العلوم التى نبغ فيها الإسلام وتصدر فيها مركز القيادة للعالم فى العالم مرة ـ وهى العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ والجغرافيا والأدب والفلك ـ قد أصبحت هزيلة عاجزة عن التقدم وبقى جوها وطريقتها من طرق العصور الوسطى .

الاحتكاك بالغرب :

وقد كان الاحتكاك بالمدنية الغربية لا مفر منه فى مصر ، كما كان لا بد من أن يكون لهذا الاحتكاك أثر عميق على الأزهر . فأبطلت فيه دراسة المسائل الاعتقادية المعقدة التى كانت تشغل وقت الفراغ عند المسلمين ، وأصبح يشغل الآن بدراسة

مكتبتنا العربية

العلوم الغربية فى السياسة والاقتصاد والأعمال ، وباستيعاب كثير من مباهى الحياة الدنيوية والترفيهات مثل المسارح والسينما والألعاب الرياضية والسباحة .

وبدأ الناس يتهمون الأزهر بأنه لا يتمشى مع الزمن ، وكانت حالة خريجى الأزهر — كحكثير غيرها — هى التى لفتت النظر إلى الحاجة للإصلاح ، وقد نال هؤلاء الخريجون الكثير من الغبن كلما بحثوا وظيفة يساوون فيها مع خريجى المدارس ذات النظام الغربى .

وقد حاول محمد على باشا وإسماعيل باشا إدخال الإصلاح فى الأزهر ولكنهما قوبلا بمقاومة شديدة ، وكان لابد من الانتظار حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر لإحداث تغيير حقيقى فى الأزهر .

وكان الشيخ محمد عبده — وهو ابن الفلاح المتواضع — يعتقد أن إصلاح الأزهر أمر حيوى يجب أن يسبق كل إصلاح دينى و اجتماعى فى الإسلام بصفة عامة .

ولا يمكن أن يحدث هذا الإصلاح الآن إذا جاء عن طريق التخلى عن التقاليد العتيقة وتركها تماما ، وتلقيح الجامعة الأزهرية ببساطة وسماحة الإسلام فى عهده الأول . ولما رأى الشيخ محمد عبده ما كان هنالك من عدم الانسجام بين الدين والعلم أخذ يدعو إلى استساغة كل ما هو مفيد فى العلوم الغربية وأن البحث فى الطبيعة يجب أن يؤدى لا إلى الفائدة المادية فحسب ، بل إلى معرفة الله معرفة أغور عمقاً وأقوى إيماناً بها ، وكان تجديد اللغة العربية جزءاً من الأسس التى لابد منها لإحياء الإسلام .

وكانت العقبة الكؤود فى سبيل تحقيق برنامج الشيخ محمد عبده هى موقف علماء الأزهر منه . وقد كتب عنهم فى سنة ١٨٩٥ ما نصه :

« إن العلماء الذين هم روح هذه الأمة لم يروا حتى الآن فائدة فى هذه العلوم الحديثة ، إلا أنهم لا يزالون يشغلون أنفسهم بأمور ربما كانت أكثر تلاؤما مع الزمن الماضى الذى قد طويت سجلاته ، وقفلت أضابيره . وهم لا يلقون أية نظرة إلى ما هو واقع فى العالم الجديد » .

وفيما بين سنة ١٨٩٤ ، ١٩٠٠ وضع مجلس إدارى تحت رئاسة الشيخ محمد عبده كثيراً من آرائه موضع التنفيذ ولكن كان ذلك دائما ضد مقاومة العلماء القوية .

مكتبتنا العربية

بل كذلك وضد الخديو عباس حلمى الذى طرد « جماعة المجددين » فى الأزهر . وقد أصلح الشيخ محمد عبده الإدارة وطرق التدريس ونظم المكتبات وأطال مدة السنة الدراسية ، وحسن حالة الطلبة وأحوالهم المعيشية ، وأنشأ كذلك دوراً لدراسة المنهج ، لكن عرقلة المحافظين العنيدة حملته على الاستقالة ، وعقب ذلك بقليل ، توفى إلى رحمة الله .

وبعد ذلك بثلاث سنوات أسست الجامعة المصرية العلمانية التى تسمى الآن جامعة فؤاد الأول — ولكن الأزهر بقى على ما هو عليه لم يتمدين .

أما المحاولة الجديدة التالية من أجل تحطيم حصون المحافظة على القديم ، فقد قام بها الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف الحالى الذى أدخل التعليم المجانى فى مصر سنة ١٩٥٠ - وقد جعل طه حسين فى تاريخ حياته إبان كان طالباً فى الأزهر ما صادفه فيه من خيبة الأمل المتزايدة ، لما لقى الدراسة فيه شاقة ومضنية إذا ما قيست بسهولة الدراسة مع التعمق عند القدماء ، وعبر عن مبلغ ازدرائه لعقم التعليم ، وقد طالب بشدة سنة ١٩٢٦ بإدخال طرق التعليم الغربية فى الأزهر .

وواجه العلماء بقوله : إن الحقائق الاعتقادية مختلفة كل الاختلاف عن الحقائق العلمية ، وطالبهم بتطبيق فن النقد الأدبى العربى على القرآن ، وعلى الكتب السابقة للإسلام ، وأن يرفضوا كل شىء إلا ما يثبته النقد العلمى الصحيح . وأن يتحرروا من قيود العهد القديم التى جعلت من الأدب العربى مادة صلبة جامدة . وقد أثار قوله عاصفة من الاحتجاج ، مما حدا بالأستاذ الأكبر إلى شراء هذا الكتاب ومصادرته وبعثرة حروفه المجموعة بينما ظهرت منه طبعات بعد ذلك مشتملة على كثير مما كان محظورا فيه .

الآراء الحديثة :

إن الإصلاحات الأولى التى أدخلت على منهاج التعليم وكانت ذات مغزى هى التى جاءت بالاهتمام الذى وجهه ذلك الراحل فؤاد الأول إلى الأزهر فى سنة ١٩٣٠ حيث أضيف إلى المنهاج القديم دروس موضوعة على أسس الآراء الحديثة فى التربية فقد لوحظ أن أساتذة الأزهر لم يكونوا منشئين النشأة الكافية لمثل ذلك ، ولأن كثيراً من الموضوعات الدراسية الجديدة وخصوصاً العلوم ، لابد من أن يقوم بتدريسها أساتذة علمانيون من خريجى المعاهد الحديثة .

مكتبتنا العربية

وحتى هذا لم يعوق أو يقف الاتجاه نحو الجامعات الحديثة وكان على الأزهر أن يواجه مالا يستسيغه وهو أنه قد فقد كثيراً من سلطانه وسمعته القديمة ولا يزال الأمر ذا مساس خطير بالتعليم الإسلامى . وكم هنالك من الشكوى من أنه بينما تغدق الأموال الطائلة فى ميادين التعليم الأخرى نراهم يتجاهلون التعليم الدينى ، وإن الأزهر يئن من قلة المال .

ويرى أنه لابد من أن توجه الحكومة إلى التعليم الدينى اهتماما أكبر ، وأن تعمل على مساعدة البعثات الإسلامية فى الخارج . ويشعرون بأن اللوائح وكادر هيئة التدريس أدنى منها فى الجامعات الحديثة . وقد نجم هذا الشعور عن الدعوة التى وجهت لإعانة جميع البلاد المسلمة فى العالم .

إن مكانة الأزهر هى من مكانة المصرى . والعالم الإسلامى فى خضم الحياة ولو أن المصريين يشعرون بالفخر الخاص لهذه المؤسسة القديمة إلا أن تأثيرها عليهم قد تضاءل بسبب انصرافهم الظاهر عن ملاحظة الشعائر الدينية ونمو المادية فى حياة المصريين .

ولا يدل هذا حتما على ضعف جوهرى فى العقيدة الدينية أو على أن المصريين أضعف إسلاما من ذى قبل وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على الرغبة الشديدة للشبيبة المصرية فى تعلم العلوم الحديثة ، وعلى اعتقادها أن الأزهر لم يعد صالحاً لإعداد الشبان لمواجهة الحياة المادية فى مستقبلهم .

إن اسم الأزهر لا يزال عظيما فى جميع أنحاء العالم الإسلامى . إن الميول للوحدة الإسلامية — مقصودة كانت أم غير مقصودة — التى تحدو ، الرابطة العربية ، وبزوغ دولة الباكستان الإسلامية العظيمة المستقلة وتدخل إسرائيل فى البلاد العربية قد عجلت بإلهاب شعور المسلمين وشعور عشرين ألفاً من طلبة الأزهر الذين يفدون إليه من جميع أنحاء العالم ويزداد عددهم كل عام .

وقد أمكن الأزهر أن يكون مركزاً لتخريج العلماء ، وإن أهم عمل قام به الأزهر فى التجديد كان فى الواقع ما بذله فى ميدان البعوث ، بيد أنه رغم هذا التقدم الذى حدث فى خلال الخمسين عاما الماضية فإنه ليس من رأى كل علماء المسلمين أن الأزهر هو الذى يقود الفكرة الإسلامية ، أو حتى أنه يعتقد اعتقاداً كافياً فى رسالته .

مكتبتنا العربية

ضوء على حياة الطالب بالأزهر

للفضيل الشيخ محمد الغزالى
من علماء الوعظ والإرشاد

الطابع الخاص لحياة الطالب الأزهرى

للطالب الأزهرى حياة متميزة فريدة تستمد خصائصها من طبيعة الرسالة التى يقوم الأزهر بأدائها من قرون ومن ألوان الثقافة التى يقدمها ومناهج التربية المتشابهة التى يأخذ بها طلابه على اختلاف مواطنهم .

ووفود الطلاب المنتسبين إلى الأزهر يعتبر صورة دقيقة لما يسود الشرق الإسلامى من أحوال اجتماعية واقتصادية وغيرها . فان كثرتهم الكبرى - ان لم يكونوا جميعاً - من الأرياف البعيدة وبقيتهم من بيئات محافظة تقية .

ولعل الأسر التى تلحق أبناءها بالأزهر ترى فى ذلك ضربا من ضروب العبادة ، ومظهراً للتعلق بالدين والحرص على بقاء روحه وازدهار معالمه . وإنك لترى الوالد يترك إبنه فى مقتبل العمر فى العاصمة التى يقع فيها معهده ويعود قافلا إلى بلده تاركا الطالب الجديد يواجه مصيره بنفسه ويخط مستقبله بيده ...

مسئولية الطالب الأزهرى

وعلى الطالب - وهو لما يزل بعد شابا صغيراً - أن يهمل الأعباء الملقاة على كاهله . فالى جانب الدراسة التى كرس حياته لها يجب أن يهتم بشئونه الخاصة كلها فعليه أن يعد طعامه وأن يهيىء منامه وأن ينظف ملابسه وأن ينظم مسكنه .

رغبته فى التعاون

ولما كانت هذه الأعمال تتطلب تعاونا جماعيا لإنجازها وإتقانها فإنه يغلب أن تتكون وحدات متجانسة لتذليل هذه الصعاب وقد تمتد روح التعاون فى الأعمال المعيشية إلى النواحى العلمية إذا كان أولئك الأصدقاء فى صف دراسى واحد ومن ثم تراهم يتعاونون على تحضير الدروس وفهمها كما يتعاونون على إنضاج الأطعمة وطهيها .

العمل اليومى

ويوم الطالب الأزهرى الجاد يزدحم بالواجبات المادية والأدبية التى ارتبط بها

مكتبتنا العربية

ولا يمكنه الفكاك منها فهو من مطلع الفجر إلى هزيع الليل يشتغل لمواجهة ضرورات الحاضر وأعمال المستقبل .

فراغ الطالب

وفترة الإجازة بعد انقضاء الدراسة تشبه أن تكون نوعا جديداً من العمل فالطالب الأزهرى ـ كما بينا ـ قادم من الريف الكادح ، والأزهريون كتلة شعبية محضة فما يكاد الطالب النازح يعود إلى قريته حتى يتحول إلى فرد عادى فى أسرته فهو مع أخيه الفلاح فلاح مثله ، أو مع أبيه التاجر تاجر مثله .

ومن المناظر المألوفة أن يخلع الطالب الأزهرى ثوبه العلمى ليرى وهو يضرب بالفأس فى حقل أو يرمى البذور فى الأرض أو يشمر عن ذراعيه وساقيه ليدير الطنبور فوق مياه النيل كى يسقى زراعته .

وليس فى مزاولة هذا النوع من الأعمال شىء من الفظاظة عليه أو الخدش لكرامته أو المنافاة لمقتضيات دراسته . بل إنه يراه من آيات الرجولة الصحيحة ثم إنه مشاركة واجبة فيما يبذله الأهل والأقربون من جهود متصلة لكسب الرزق .

وقد استفاد الأزهريون من هذه الحياة المشتركة خبرة فنية فى شئون عمرانية كثيرة تنضم إلى الرسالة العلمية التى يضطلعون بها كما أفادوا مناعة فى أجسامهم وقوة فى طاقتهم .

طابع التعليم فى الأزهر

والتعليم فى الأزهر متين الصلة بماضى الأمة وحاضرها والروافد التى تمده بالحياة وتعينه على البقاء نابعة من عقيدة الأمة وتاريخها وتقاليدها . ولذلك فالطالب الأزهرى مثال لحضارة وامتداد التاريخ .

وهذا لا يعنى إنه تجديد لذكريات قديمة انتهت بتطور الزمان كلا ، فإن الأمة تستطيع أن تساير كل تقدم فى آفاق الفكر وميادين الإنتاج وهى فى الوقت نفسه حفيظة على مشخصاتها التى تفردها بطابعها الخاص وتعطيها ملامح معينة ثابتة .

والطالب الأزهرى لا يعد ليكون خزانة لطائفة من المعارف المجردة قديمة كانت أو حديثة بل الملحوظ فى أعداده أنه صاحب رسالة إسلامية واعية فهو ينال من علوم الدين واللغة ومن علوم الكون والحياة ما يساعده على أداء هذه الرسالة العتيدة ومن الممكن اعتبار التعليم الأزهرى هو التعليم القومى لا لمصر وحدها بل لبلدان الشرق الإسلامى عامة .

مكتبتنا العربية

الأستاذ فى التعليم الأزهرى

وأثر الأستاذ فى إعداد الطالب محدود فى نطاق التوجيه والارصاد الذى لا يطمس شخصيته فالمفروض فى الدراسة الأزهرية الأصيلة أن الطالب يعد فى مساء يومه درس الغد فى شتى العلوم التى سيتلقاها ثم يجىء الأستاذ ليشرح الدرس الذى يكون الطالب قد كون فكرة ما عن موضوعه فيكون هذا اللقاء بين الأستاذ والطالب فرصة لاستجلاء الغامض وحل المعقد . وفرصة كذلك لمناقشات حرة طليقة من كل قيد تطرح فيها الآراء وتساق الفروض وتمحص الحقائق دون توجس أو تبرم .

— ٣ —

وقد شاعت هذه الطريقة فى دراسات الأزهر الدينية والقانونية واللغوية والأدبية حتى اعتبر البحث الدقيق من اللوازم فى العقلية الأزهرية .

ولا شك أن لهذا الأسلوب أثره فى تكوين الشخصية المستقلة وإنماء الموارد الذاتية وإن كان يسبب لهم أحيانا عادة الاعتراض وكثرة الجدل .

الطلاب الوافدون

ويكوّن الطلاب المبعوثون إلى الأزهر من الأقطار الأخرى قسما كبيراً بين المنتسبين اليه ، وهم أفواج من أجناس شتى جاءوا من السنغال وتنجانيقا وكينا والحبشة والصومال والهند والباكستان والشام والتركستان وتركيا والبانيا الخ .

وقد أفرد الأزهر لهم مساكن خاصة وبذل فى تكوينهم عناية بالغة . والمناهج التى رسمها لتخريجهم يقصد بها تزويدهم بما يجعلهم رسلا للثقافة الإسلامية التى تمرسوا بها وأجادوا فنونها . وهى رسالة تعتمد على التربية والتهذيب إلى جانب ما تقوم به من دراسات لشتى المعارف الأدبية والكونية .

والناظر إلى هذه البعوث الوافدة من مشارق الأرض ومغاربها يروعه التقاؤها فى ساحة العلم الروحية وتحت ظلاله الموروفة . ويلحظ مظاهر الأخوة التى تؤلف بين قلوبهم وتجعل منهم وحدة متماسكة .

وإن فيما يبذله الأزهر من اهتمام بهذه الوفود ثم ما يحوطها من رعاية حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم لدلالة على ما تلقاه الرسالة الجليلة التى يضطلع بها هذا المعهد العتيق .

مكتبتنا العربية

آداب السلوك

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم على أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

للسلوك الإنسانى آداب أكثر من أن تأتى عليها كلمة عابرة ، أو تحيط بها مقالة قصيرة ، أو تتناولها صفحات محدودة تنشرها مجلة أو جريدة ، وقد تصدت لذلك كتب الأخلاق بعنوانات متنوعة ، وألفاظ مختلفة . وربما كانت من البداهة بحيث يكون الحديث فيها معاداً مكروراً ينفر منه السمع . ويمل القارىء ترديده . لهذا فإنى لا أقصد بتلك الكلمة أن أقلب شيئاً من تلك الصفحات المعهودة للناس . ولكنى أحب أن أنوه إلى أن القارىء الذوق شيء ليس فى الكتب ، فإنهم إن يقولوا - كذلك - إن الأخلاق لا تؤخذ من الكتب ، أو على الأصح إن الذى نجده فيها ، ونقرؤه من سطورها غير الذى نحتاجه فى آدابنا . وتمس إليه ضرورة المعاشرة ، وتقتضى به معانى السلوك ، لأن ما هنالك نظرى ، وما نفتقر إليه « عملى » وشتان ما بين النوعين . وإن كان الثانى يتوقف على الأول إلا أنه يغايره كل المغايرة .

ولو أن الكتب وحدها هى كل ما يسمو بنا إلى الآفاق البعيدة ، ويصل بنا إلى الغاية المرجوة ، لكان أحفظنا لها ، وأكثرنا تحصيلا لما تضمنته ، أشدنا تمسكنا فى الخير ، ورغبة فى الفضل ، وزاهداً فى السفساف ، وكراهية للانحدار . ولذلك لا يعنى علماء التربية حينما يبسطون القول فى هذه الناحية بمقدار عنايتهم بالبيئة والقدوة الصالحة ، ويشنع بعض الفلاسفة على هؤلاء الذين يعتقدون أن الرذيلة والفضيلة يرجعان إلى المعرفة ، ويمتان بأسباب وثيقة إلى الشعور والاستقصاء ، لأن الواقع يناقض هذا الرأى ، وينادى بأنه لا يتلاقى مع ما يحدث

مكتبتنا العربية

فى حقائق الأمور ، فكم شاهدنا من يعلمون أن الهلاك يتهددهم ، والويل يتوعدهم ثم لم يغن عنهم علمهم شيئاً .

وقد ترى رجلين يتساويان فى حفظ المسائل ، ويتفقان فى الإدراك ، ولا تكاد تميز بينهما فى فقه قضايا السلوك والآداب ، إلا أنك تجد التباين واضحاً ظاهراً ، فى تطبيق ذلك كله فى الحياة الاجتماعية التى يجرف تيارها البلاد والعباد ، ويكتسح الكبير والصغير والقوى والضعيف . وتجد أغرب ما تجده ، وأعجب ما تلحظه ، ذلك الذى يستمد أسلوب معاشرته للناس من الظروف نفسها ، فهو يصدقك الود ، ويخلص لك المحبة ، ويتفانى فى الزلفى إليك ، والدنو منك ، ومشاركتك البأساء والضراء ، والبلهنية والنعماء ، إذا وجد أن فى ذلك راحة له ، وسروراً لنفسه ، وغنما يعود عليه . أو ترى أنه بهذا يمشى على سنن السواد الأعظم ، أو السلطان القائم ، فإذا ما أحس أن التيار قد تحول إلى غير ناحيتك ، أصبح من الحتم عليه ، أن ينظر إليك بعين أخرى ، ويقابلك بوجه سوى الوجه القديم . .

وكثير من المعارف والأصدقاء يجعلون صلتهم بمعارفهم وأصدقائهم أشبه شىء بسندات البورصة ، يصادفها الارتفاع والانخفاض ، والغلو والرخص ، والزيادة والنقص ، كما تقضى المناسبة . وتوجب السوق . وربما كان الذين لا يثقون فى الصداقة ، ولا يؤمنون بدوام المودة ، نظروا إليها من هذه الزاوية ، وحكموا عليها بهذا المعيار ، فأفاضوا فى التشاؤم بها ، والنفور منها ، وعدم الركون إليها . . وإذا كان هنالك من يقول إن الصداقة ضرورة اجتماعية ، فإنهم لا يذعنون بأنها الصداقة التى يشتقها علماء اللغة من الصدق ، ويشترطون فيها الإخلاص ، ويطلبون من أصحابها التعاون على البر والتقوى ، ولكن يقولون إنها صداقة الملق والرياء ، والنفاق والكذب ، والخداع والمراوغة ، والمكر واللف ، والكذب والادعاء ، والدهاء والاحتيال ، والحديث المعسول ، والوعود الخلابة ، بمقدار ما ينطلى على بلاهة السذج ، ويجرى على رأى الصاحب ، وكلما أتقن المرء هذه الأشياء كلما كان جديراً بالتقدير والاحترام .

مكتبتنا العربية

وليس يسرنا أن نسترسل فى سياق هذا الحديث الذى يدل على تلاشى الشخصيات وذهاب الكرامة ، وفقد المروءة . وضعف الأخلاق ، وموت الضمائر . . إلا أننا نود أن نهمس فى آذان أولئك الذين يتجرون بسلوكهم هذا الاتجار ، ويتخذون منه مطية لمآربهم فى المناسبات الخاصة ، والأزمنة والأمكنة التى تتطلب ألواناً بعينها من الآداب والمعاملات : إن الدين يأبى على صاحبه أن يؤمن وجه النهار ثم يكفر آخره . .

ومصطفى صادق الرافعى الذى عرف قراء العربية أنه كاتبها الفحل ، وباحثها الضليع ، وعالمها العليم ، وحارسها اليقظ ، كان له فى بعض الأحايين ، أبيات من الشعر تجرى مجرى الحكمة ، وترد موارد الأمثال . وله بيت فى هذا العنوان ، يوزن بألف دينار ، يوصى فيه أن يظل الرجل كالضرس يرسو مكانه لا يثنيه فيما يصادفه حلو ولا مر . . وكذلك يكون الإنسان الذى يرى أنه فوق الأنواء والعواصف ، والآلام والخطوب ، والصحو والغيم ، والظروف والمناسبات ، لأن الخلق إذا تمكن فى نفس صاحبه كان له منه قوة لا تعبأ بالتقلبات الجوية ، والموازين المعنوية ، ولا تعول إلا على الحق فى ذاته غير منظور فيه الى أى اعتبار . .

وأغلب الظن أن شكايتنا من الآداب والسلوك ، والطباع والغرائز والعادات والأخلاق ، والمعاملات التى نبغضها ، والصفات التى لا نحب أن تسود معاشرتنا ، سوف يظل عهدنا بها هكذا ما دمنا لا نصلح ما بيننا وما بين الله . لأن مما لا شك فيه أن ما بين الإنسان وبين ربه مقياس ما بينه وبين الناس ، وقد أدركنا كثيرا من آبائنا وأسلافنا ، ومشايخنا الذين ساروا على النهج القويم ، والصراط السوى ، فوجدنا أنهم حين قويت آصرتهم بالذى فطر السموات والأرض ، تهيأت لهم أسباب الفلاح والنجاح ، وتوفرت لهم دواعى السعادة . وكفاهم الله شرور العالمين ثم رأينا مع هذا وهذا قوما أفسدوا دينهم ففسدت دنياهم ، وأضاعوا آخرتهم فلم يغنموا من العيش إلا أوزارهم وأوزارا مع أوزارهم ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، فاللهم أهدنا سبيلك ، وجنبنا سخطك ، وقنا عذابك ولا تجعلنا من الذين يعرضون عن نهجك ، ويتنكبون صراطك ، ويشترون طاعة الناس بمعصيتك إنك أنت العزيز الحكيم ؟

مكتبتنا العربية

المعاهدة الغادرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ السيد شريف
المدرس بالأزهر

تذرعت غرناطه آخر مدن المسلمين بالأندلس مدة بالصبر على الأذى ، وقوة الاحتمال . والرضا بما تلقى من مكاره ، وقاتل حماتها فى سبيل الدفاع عنها قتال المستميت . حتى تخضبت أسوارها بدمائهم ، وامتلأت أرباضها بأشلائهم ، وتنافسوا فى ميدان التضحية ، راضية نفوسهم ، مطمئنة قلوبهم . علهم يستطيعون الإبقاء عليها بعد أن سلمت جميع الحصون التى تحيط بها ، ولكنهم بعد نضال مرير دب اليأس إلى نفوس العامة فيها نتيجة لما يعانونه من أهوال الجوع والمرض والحرمان بسبب الحصار الشديد الذى ضربه فرديناند الخامس حولها ، وأزمع جاهداً على ألا يدخر وسعاً فى إرهاقها لتذعن لمشيئته وتدين بطاعته ، وقد رابطت سفنه فى مضيق جبل طارق لتحول دون وصول أى مدد إليها من مسلمى أفريقيا . وبذلك قطع علاقاتها مع البر والبحر من كل ناحية واقتلع من أذهان رجالها كل مطمع فى أمل أو رجاء

وإذ ذاك دعا أبو عبد الله محمد آخر ملوك الأندلس مجلسا من كبار الجند والفقهاء والأعيان فاجتمعوا فى بهو الحمراء الكبير ، وبعد أن شرح لهم أبو القاسم عبد الملك حاكم المدينة ما انتهى إليه الأمر من تفاقم واضطراب ، وما ساد المدينة من خوف وفزع ونزل بها من فقر وفاقة قر رأيهم على التسليم إلا القائد العظيم موسى بن أبى الغسان . فإنه أبى قائلا : فلنعمل على إثارة الشعب ولنضع فى يده السلاح ولنقاتل العدو حتى آخر نسمة وإنه لخير لى أن أحصى بين الذين ماتوا من أن أحصى بين الذين شهدوا تسليمها ولكن كلماته لم تترك أثراً لأنه يخاطب رجالا نضب الأمل من قلوبهم وملأ اليأس جوانبهم وغاضت فيهم كل حماسة ووصلوا إلى حالة من الهوان لا تنجع فيها الإثارة ولا ينفع معها التذكير بمواطن الخلود ومواقف البطولة .

مكتبتنا العربية

ثم أرسلوا أبا القاسم إلى ملك النصارى فرديناند ولبثت غرناطه ترتجف من أقصاها إلى أقصاها وتتحرق لهفة إلى معرفة ما تفصح عنه الرسالة حتى عاد يحمل الشروط التى رضيها فرديناند . وحين عرضها على مجلسهم قبلها لأنها أقصى ما تجود به نفس رجل محب للتسلط راغب فى العدوان حريص على أن يبيد من الوجود كل أثر لذلك التراث المجيد الذى أشاع فى البلاد العدالة والحرية والمساواة ، ولما هموا بتوقيع صك التسليم نهض البطل المؤمن موسى بن أبى الغسان وصاح فيهم : لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بعهدهم . ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم . إن الموت أقل ما نخشى . فأمامنا نهب مدينتنا وتدميرها وتدنيس مساجدنا ، وهتك نسائنا وبناتنا ، وأمامنا الجور الفاحش ، والتعصب الوحشى ، والسياط والأغلال ، وأمامنا السجون وأعواد المشانق والمحارق ، وهذا ما سوف نراه على الأقل هذه النفوس الوضيعة التى تخشى الآن الموت الشريف . أما أنا فوالله لن أراه . ثم انصرف حيث اختار لنفسه ميتة الأحرار المجاهدين .

وشروط التسليم كثيرة أهمها : تأمين الصغير والكبير فى النفس والأهل والمال . وإبقاء الناس فى أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم وإقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعته ، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك وألا يدخل النصارى دار مسلم ولا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى وأن يطلق سراح جميع الأسرى وأن يجوز إلى إفريقيه من شاء من المسلمين فى سفن يقدمها ملك النصارى فى غضون ثلاثة أعوام ، وألا يقهر مسلم على التنصر وأن من تنصر يوقف أياما حتى يظهر حاله ويستحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فإن أبى الرجوع إلى الإسلام كان له ما أراد ولا يسترد ما أخذ من النصارى أيام العداوة ، وترفع عن المسلمين جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يحق لنصرانى أن يدخل مسجداً ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه وأن يوافق البابا على تلك الشروط واتفقوا أيضاً على أن يغادر أبو عبد الله غرناطة إلى البشرات حيث يقطع ضياعا يعيش فيها ، وأن تقدم غرناطة خمسمائة من أعيانها رهينة للوفاء بالإخلاص والطاعة ، ثم احتل فرديناند المدينة وحمراءها وقصورها وحصونها

مكتبتنا العربية

وخفق علم النصرانية فوق صرح الإسلام المنهار وطويت إلى الأبد تلك الصفحة الخالدة من حكم المسلمين لهذه الديار .

وبعد أعوام قلائل تحققت مخاوف المسلمين وصدقت نبوءة قائدهم موسى ابن أبي الغسان وكشفت الأحداث عن أصالة رأيه وبعد نظره . حين بدأ العدو يحور المعاهدة ويفسرها وفق مطامعه وبوحى من مآربه . ثم أخذ ينقضها عروة عروة ويخيس بها نصا نصا ، فأغلق المساجد وانتهك العقائد وحظر إقامة الشعائر وصب على المسلمين صنوفا من العنت والاضطهاد وأفتن فى إيذائهم والتنكيل بهم فلم يسلم لهم الشرف ولا العرض ، وكان قبس من الحماسة ما زال يضطرم بين أهل المناطق الجبلية . بلفيق واندرش وغيرهما . فرفعوا أصواتهم بالذمر والشكوى وثارت الأنفس وهاجت الخواطر وقد وجدها مجلس الدولة الذى أنشىء بغرناطة فرصة مواتية لإلغاء المعاهدة والنكث بالعهود جملة . واعتزم تنفيذ فكرة مشئومة نهض بالدعاية لها رجال الكنيسة وهى تشريد المسلمين وإبادتهم إلا أن ينتصروا . وما كاد يذاع قرار المجلس حتى ذكا الهياج فى كل ناحية وحاول المسلمون المقاومة سيما فى المناطق الجبلية وليكنهم كانوا عزلا ، وكانت جنود النصارى صارمة شديدة الوطأة فمزقتهم بلا رحمة واستأصلتهم قتلا وسبيا .

وقد تنصر إثر هذه القسوة الألية من خار فى ميدان الجهاد . وآثر السلامة . وخاف الفاقة . وتعلق بالوطن . وهاجر من اختار التمسك بعقيدته . والحفاظ على كرامته . فغادر أسبانيا جموع كثيرة إلى فاس ووهران . وبجاية وتونس وطرابلس وغيرها من ثغور إفريقية بعد أن أغرقوا بدمهم أرضها . وكتبوا بمقاومتهم أنصع الصفحات فى تاريخ الجهاد فى سبيل الله . وقد تم جلاء آخر جماعة إسلامية أبت أن تفتدى نفسها ومالها بالنزول عن دينها وإبائها فى سنة (١٠١٧ هـ — ١٩٠٩ م)

وبذلك صارت أسبانيا كلها نصرانية كرها وقهراً . لا طواعية واختياراً . وجلجلت أصوات النواقيس فى صوامعها . وامتلأت مساجدها بالصور والصلبان . وأقفرت من ذكر الله وتلاوة القرآن . ورفع الصليب الفضى الكبير فوق أبراج الحمراء . وقد خفق فوقها أحقابا علم أولئك الأمجاد الميامين .

مكتبتنا العربية

موازنات أدبية :

نونية ابن زيدون

للأستاذ الشيخ حسن عباد
المدرس بكلية اللغة العربية

— ٣ —

امتاز شوقى بمطلعه الشعرى الرائع الذى فاق مطلع ابن زيدون ، ذلك المطلع الضحل الذى يكرر بعضه بعضا . فالشطر الثانى هو الشطر الأول :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا ونابَ عن طيب لقيانا تجافينا

ويقول ابن زيدون :

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسى لولا تأسينا

نجد معنى أوليا : ضمير المحب يناجى المحبوب ، فيكاد الأسى يقضى عليه لهذه النجوى لولا التجلد والتأسى . أما شوقى فإنه قد فرغ من هـــذه المناجاة ، وارتفع بحبه إلى المنزلة التى يغار فيها من ضميره حين يناجى من يحب :

يا من يغار عليهم من ضمائرنا ومن نصون هواهم فى تناجينا

ويقول ابن زيدون :

ليسق عهدكمو عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا وسربع اللهو صاف من تصافينا

فنجد هذه الصورة عند شوقى على هذا النحو :

سقيا لعهد كأكناف الربا رفة أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا
إذا الزمان بنا غيناء راهبة ترف أوقاتنا فيها رياحينا
الوصل صافية والعيش فاغية والسعد حاشية والدهر ماشينا

مكتبتنا العربية

فلا يقف بأحبابه عند جعلهم رياحين بل يتعدى ذلك إلى الزمن الذى يرف بهم ريحانا ، ويهفو بلقياهم نسيما عاطرا ، هذا إلى تصويره عهدهم بأكناف الربا وأعطاف الصبا ، وتمثيله الزمان بالغيناء الزاهية ؛ ثم إلى التقسيم الموسيقى فى البيت الأخير ، وما استوفى فيه من ألوان التصوير ، وأفانين الصفو والدعة .

على أنه لم يكتف بذلك ، بل أخذ يسترسل فى وصف مظاهر زمان الأنس وعهد الصفاء ، بما أمده به خياله المحلق من روائع التشبيه ، مما لا نجد مثله عند ابن زيدون . يقول شوقى فى استرساله :

والشمس تختال فى العقيان تحسبها ... بلقيس ترفل فى وشى اليمانينا
والنيل يقبل كالدنيا إذا احتفلت ... لو كان فيها وفاء للمصافينا
ألقى على الأرض حتى ردها ذهبا ... ماء لمسنا به الأكسير أو طينا

ويقول ابن زيدون :

يا سارى البرق غاد القصر فاسق به ... من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسأل هنالك هل عنى تذكرنا ... إلفا تذكره أمسى يعنينا

فيأخذ شوقى هذا المعنى ويقلبه على وجوه مختلفة ، وينتزع منه صوراً متعددة ، فلا يقنع بمخاطبة البرق حتى يجعله يرمى عن جوانحه ، ويهمى عن مآقيه ، ويصف ترقرقه فى دمع السماء ، ويشهده على حاله التى أخذ يشرحها له . ثم يشيعه إلى آفاق النيل ، فيصور احتواءها له ، واحتفاء الريف به ، ونحو ذلك مما سبق بعضه ، وكما يقول :

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا
لما ترقرق فى دمع السماء دما ... هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا
الليل يشهد لم تهتك دياجيه ... على نيام ولم تهتف بسالينا
والنجم لم يرنا إلا على قدم ... قيام ليل الهوى للعهد راعينا
كزفرة فى سماء الليل حائرة ... مما تردد فيه حين يضنينا

وعلى هذا النحو يقول ابن زيدون :

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا ... من لو على البعد حيا كان يحيينا

مكتبتنا العربية

فيأخذ شوقى فى وصف الريح ، ويولد ما شاء من المعانى ، ويطلق خياله فى أذيالها العاطرة ، ويبالغ فى شكرها على تجشمها السرى ، وطيب مسراها ، ثم يوشى ذيولها المسكية بغرائب أشواقه وحنينه ، مما لم نشهده عند صاحبه :

ويا معطرة الوادى سرت سحرا ... فطاب كل طروح من مراعينا
ذكية الذيل لو خلنا غلالتها ... قميص يوسف لم نحسب مغالينا
جشمت شوك السرى حتى أنيت لنا ... بالورد كتبا وبالريا عناوينا
فلو جزيناك بالأرواح غاليـة ... عن طيب مسراك لم تنهض جوازينا
هل من ذيولك مسكٌ نحمله ... غرائب الشوق وشيا من أمانينا

وقال ابن زيدون :

لا غرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت ... عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى صورا ... مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

تعليل فلسفى جميل : لا عجب فى أن نذكر الحزن وننسى الصبر ، لأن الحزن قد اشتد علينا ، حتى كأننا قرأناه سورا مكتوبة لا تنسى ، أما الصبر فقد لقناه تلقينا ، فلم يمس شغاف قلوبنا كما مسها الحزن ؛ أما شوقى فقد اشتد به الحزن والوجد ، ولكنه لم ينس الصبر كما نسيه ابن زيدون ، بل دعاه ، وإن كان لم يأخذ بيده :

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا ... فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا
وما غلبنا على دمع ولا جلد ... حتى أتتنا نواكم من صياصينا

ولا نفهم من هذا أن شوقى قد قصر فى تصوير نكبته بهذه الدعوة إلى الصبر ، فإنه يصور فداحة خطبه بطريق آخر غير طريق ابن زيدون ؛ فهو الذى يدعو الصبر فى كل نائبة فيستجيب له ، ولا تلين قناته للحوادث والخطوب . أما فى هذه المرة فإنه يغلب على صبره وجلده ودمعه ، ولا شك فى أن هذا التصوير أدل على فداحة المصاب من تصوير ابن زيدون ، فإن دمعة الشجاع الذى لم يعتد الهزيمة أحر وأبلغ فى الدلالة على عظم الكارثة من دموع من اعتاد الهزائم .

ويقوله ابن زيدون :

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغض فقال الدهر آمينا

مكتبتنا العربية

فنرى (شوقى) عالة عليه فى هذا البيت. وإن امتاز بأنه جعل الدعاء من الليالى لأنه سلبها صفوها فدعت عليه:

ولم ندع للليالى صافيـــا فدعت بأن نغض فقال الدهر آمينا

وهكذا نجد أن شوقى هو الشاعر الوحيد الذى فاق ابن زيدون، واستطاع أن يغزوه فى وطنه وينتصر عليه بما جدد من الأفكار، وولد من المعانى، واخترع من الصور، وزاد من الألوان، وابتدع من الخيال. وبنفسه الطويل الذى مد من شأوا لقصيدة حتى قاربت أن تكون ضعف قصيدة ابن زيدون.

ومع هذا يجب أن نعترف لابن زيدون بفضل السبق: ويكفى أن معانيه هى التى أوحت إلى شوقى، وحسبه أن وزنها وقافيتها بل إن كثيراً من أوزانه وقوافيه كانت المفتح الأول لهذا الباب الذى ولجه شوقى. على أنه لا يزال ينفرد بمعنى لم يذكره شوقى، وهو أثر الراح والغناء فى نفسه بعد الفراق كما يقول:

لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا سيما ارتيـــاح ولا الأوتار تلهينا

ومن يدرى لعلنا نظفر فيما بعد بشاعر يسبق هذين الجوادين، ويبزهما فى ميدان السبق، فما تزال قصيدة ابن زيدون، وما تزال قصيدة شوقى، وما يزال الباب مفتوحا، وما يزال فى الدنيا شعراء.

وها نحن أولاء نرى الجارم يعارضها بعد شوقى، وهو فى طريقه إلى السودان بقصيدة يقول فيها:

يا نسمة ريحت أعطاف وادينا قفى نحييك أو عوجى تحيينا
مرت مع الصبح نشوى فى تكسرها كأنما سقيت من كف ساقينا
أرخت عذائرها أخلاط ناجمة وأرسلت ذيلها وردآ ونسرينا
كأنها روضة فى الأفق سابحة تمج أنفاس مسراها الرياحينـا
هبت بنا من جنوب النيل ضاحكة فيها من الشوق والآمال ما فينا
إنا على العهد لا بعد يحولنـا عن الوداد ولا الأيام تنسينا
أثرت يانسمة السودان لاعجة وهجت عش الهوى لو كنت تدرينا

مكتبتنا العربية

من أمجاد الرسول :

الاسراء والمعراج

رجب سنة ١٣٧١ هـ

الفضيل الأستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد
المدرس بكلية اللغة العربية

تبسمت الدنيا فناج القوافيا ... وعاد صباحا ما بدا قبل داجيا
وأسفر نور الدين فى الكون كله ... فأضحى به القطر الحجازى زاهيا
قفار ولكن أنبتت أطيب الورى ... وجدب ولكن كان أخصب واديا
وما الجدب إلا فى النفوس رخيصة ... وما الخصب إلا فى النفوس غواليا
ورب شعوب مجدها غرس واحد ... وأخرى من الآلاف تشكو الدواهيا

* * *

هبات أتيحت للألى ظفروا بها ... ومجد يلقاه النبيون عاليا
وما كان إسراء النبى محمد ... سوى الجد من رب السموات ساميا
سرى فسراه كان للعين قرة ... وللقلب من داء الضلالة شافيا
إلى المسجد الأقصى تنقل ركبه ... تنقل نور الشمس فى الكون ساريا
عجبت لما يدعى (البراق) كأنه ... سنا البرق يطوى صفحة الأفق ماضيا
فألفى هناك الرسل يرتقبونه ... كما ارتقب الصادى من الماء صافيا
إمام ولكن النبيين خلفه ... فياطيبها من نعمة هى ما هيا

* * *

وفى مثل رجع الطرف كان صعوده ... لكل سماء فى الدجنة راقيا
وحسبكم جبريل للركب قائدا ... وحسبكم الرحمن للركب راعيا
إلى الحضرة العليا تداعى مكانة ... وزاد علاه واستطال أياديا
أياد من الله الجليل جليلة ... بها زخر الشعر الثرى معانيا
فيا ليلة ما كان أنبه شأنها ... تيز بسامى الفضل فيها الليالیا
ويا ليلة ذكراك فى القلب عذبة ... تجب بذكراها القرون الخواليا

مكتبتنا العربية

جامع الملك الظاهر بيبرس

لحضرة الأستاذ محمد صبرى عابدين
أمين سر الهيئة العربية العليا

جامع أثرى عظيم شاهق البنيان واسع الأركان . ورغم الخراب الذى حل بقبته ومنارته فلا تزال جدرانه وأعمدته متينة قوية .

وهو يعد من أكبر الجوامع الأثرية بالقاهرة ، ذكر المقريزى فى خططه أن الملك الظاهر بيبرس أنشأ هـذا الجامع فى ميدان قراقوش خارج باب الفتوح من القاهرة سنة ٦٦٥ هـ — ١٢٦٦ م ، ويسمى جامع العافية كما يسمى جامع الظاهر وقد أنفق بيبرس فى بنائه ما يزيد على ألف ألف درهم فوق مليون من الدراهم وهى تساوى حوالى مائة ألف دينار من الذهب ، ويقع هـذا الجامع فى ميدان الظاهر بين شارعى الظاهر والعباسية بالقاهرة ، يبلغ مسطحه ١١٨٨٠ متراً مربعا ، وهو ما يقرب من ثلاثة أفدنة ، وقد ذكر الجبرتى فى تاريخه أن هذا الجامع جعل فى العهد العثمانى مخزنا للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها ، وفى أيام الفرنسيين بمصر جعلوه قلعة ومنارته برجا ووضعوا على أسواره المدافع وأسكنوا به جماعة من عسكرهم .

إلهى بعثت الرسل نوراً ورحمة ... وبرها لآثار الكلوم دواميا
فأحيوا من الألباب ما كان ميتاً ... وأنجوا من الويلات من كان هاويا
ولاقوا من الدنيا العناء فما انثنوا ... ولا عرفوا حين الجهاد توانيا
وجاء رسول الله من بعد تائهاً ... كما نسخت شمس النهار الدراريا
رسول لو أن الأرض تحمل مجده ... لمادت فلم تحمل عليه الرواسيا
تخير ذا مجد أثيل ومحتد ... أصيل وعن كل الدنيات نائيا
رءوف رحيم لم ير الناس مثله ... أبر بميثاق وأعلى معاليا
وأين قريض فى المسامع وقعه ... كوقع حرير الماء أسمع صادبا ؟ ؟
فلولا جلال للرسول مضاعف ... نشرت بمدحى للرسول الغواليا
ولكنه جهد المقل فإن يرى ... كفاء لهاتيك المفاخر كافيا

مكتبتنا العربية

جامع الملك الظاهر بيبرس

لحضرة الأستاذ محمد صبرى عابدين
أمين سر الهيئة العربية العليا

جامع أثرى عظيم شاهق البنيان واسع الأركان . ورغم الخراب الذى حل بقبته ومنارته فلا تزال جدرانه وأعمدته متينة قوية .

وهو يعد من أكبر الجوامع الأثرية بالقاهرة ، ذكر المقريزى فى خططه أن الملك الظاهر بيبرس أنشأ هـذا الجامع فى ميدان قراقوش خارج باب الفتوح من القاهرة سنة ٦٦٥ هـ — ١٢٦٦ م ، ويسمى جامع العافية كما يسمى جامع الظاهر وقد أنفق بيبرس فى بنائه ما يزيد على ألف ألف درهم فوق مليون من الدراهم وهى تساوى حوالى مائة ألف دينار من الذهب ، ويقع هـذا الجامع فى ميدان الظاهر بين شارعى الظاهر والعباسية بالقاهرة ، يبلغ مسطحه ١١٨٨٠ متراً مربعا ، وهو ما يقرب من ثلاثة أفدنة ، وقد ذكر الجبرتى فى تاريخه أن هذا الجامع جعل فى العهد العثمانى مخزنا للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها ، وفى أيام الفرنسيين بمصر جعلوه قلعة ومنارته برجا ووضعوا على أسواره المدافع وأسكنوا به جماعة من عسكرهم .

إلهى بعثت الرسل نوراً ورحمة ... وبرها لآثار الكلوم دواميا
فأحيوا من الألباب ما كان ميتاً ... وأنجوا من الويلات من كان هاويا
ولاقوا من الدنيا العناء فما انثنوا ... ولا عرفوا حين الجهاد توانيا
وجاء رسول الله من بعد تائهاً ... كما نسخت شمس النهار الدراريا
رسول لو أن الأرض تحمل مجده ... لمادت فلم تحمل عليه الرواسيا
تخير ذا مجد أثيل ومحتد ... أصيل وعن كل الدنيات نائيا
رءوف رحيم لم ير الناس مثله ... أبر بميثاق وأعلى معاليا
وأين قريض فى المسامع وقعه ... كوقع حرير الماء أسمع صادبا ؟ ؟
فلولا جلال للرسول مضاعف ... نشرت بمدحى للرسول الغواليا
ولكنه جهد المقل فإن يرى ... كفاء لهاتيك المفاخر كافيا

مكتبتنا العربية

وفى عهد الاحتلال الانجليزى جعلوه مذبحا للجيش فكان الإنجليز يذبحون فيه الخنازير وسواها من الحيوانات منتهكين بذلك حرمته الدينية .

ومما يؤسف له أن العامة من أهل القاهرة لا يعرفون هذا الجامع إلا باسم « المذبح أو مذبح الإنجليز » وفى سنة ١٩١٥ قد أبطل الذبح فيه

وفى سنة ١٩١٨ غرست مصلحة التنظيم أرض صحن الجامع وجعلته متنزها عاما وفى سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المحراب وجعلته مصلى وهو مازال إلى الآن مصلى تقام فيه صلاة الجمعة والصلوات الخمس . أما القسم الأكبر منه فلا يزال مستعملا حديقة عامة للنزهة .

وأذكر أن الحكومة المصرية كانت قبيل الحرب سنة ١٩٣٩ قد فكرت فى عمارة هذا الجامع وإعداده جميعه لعبادة الله وتطهيره من أرجاس الإنجليز وآثار مذبحهم وإزالة المتنزه القائم فيه ، وقد نشرت بعض صحف مصر فى ذلك الحين أن وزارة الأوقاف قدرت مبلغ مائة ألف جنيه لصرفها فى إصلاحه وتهيئته لإقامة الشعائر الدينية ، ولكن نشوب الحرب عطل المشروع وبقى هذا الجامع الأثرى التاريخى متنزها يؤمه سكان حى الظاهر وأكثرهم من غير المسلمين وهو حال لم يحدث مثله فى معابد أية ملة من الملل فى مصر .

من أجل ذلك أوجه الرجاء إلى المسئولين من رجالات مصر المخلصين أن يعيدوا النظر فى شأن عمارة هذا الجامع واتخاذ الأسباب الفعالة لإعداده كله للشعائر الإسلامية وإزالة ذلك الاسم البغيض « مذبح الإنجليز » اللاحق به ظلما وزورا .

وإنى لأهيب بحضرة صاحب المعالى الرجل المؤمن النبيل محمد المفتى باشا الجزايرلى وزير الأوقاف المصرية أن يولى هذا الجامع ما يستحق من العناية والاهتمام فيكون له فضل عمارته وتجديده وإنه لعامل إن شاء الله .

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » ؟

مكتبتنا العربية

الرسول والقيادة

الأستاذ حسن حسن جبل

المدرس بالأزهر

كان سكان الجزيرة العربية إحدى الفرق البشرية التى عمها الظلم وملأها الفساد فالقوم أحوالهم مضطربة ، ووحدتهم معدومة ، وقعوا فى جهالات مطبقة ، وشرور موبقة ، وأصنام معبودة ، وأرحام مقطوعة ، وغارات متواصلة لأتفه الأسباب ، فإذا أعوزتهم حرب القبائل المجاورة حارب بعضهم البعض :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

كانت المرأة فيهم إذا أرادت فرقت وإن شاءت جمعت ، فإن اتجهت عواطفها إلى السلام سعت إليه ونجحت فيه ، وإن وجهتها إرادة الانتقام إلى الشر أشعلتها بين الأحياء .

وقصارى القول كانت حالتهم سيئة ، لا تدعو إلى الهدوء ولا تدفع إلى الطمأنينة ، فكان لابد من مصلح حكيم وزعيم موفق ، وقائد مقدام ، وليس هناك من توفرت فيه الصفات المطلوبة سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختاره الله لينقذ الجزيرة من وهدتها ، وينتشلها من كبوتها ، بل اختاره الله للعالم أجمع ليقوده ويسوسه . والمصلحون والقادة يوجدون عند عموم الضلالة ، ويظهرون عند طموم الجهالة .

وهنا تظهر حكمة الرسول ولباقته ، وجرأته وشجاعته ، ونظمه الحربية السليمة وكيف سار على مبادىء تعتبر حديثة فى نظر الحروب الحاضرة .

تلقى وحى الرسالة فبدأ يصلح قومه بها فى غسق الليل وجنح الظلام ، وبين طرفى النهار تحت ستار السر ورداء الكتمان . ثم جهر بالدعوة حين تلقى أمر ربه ، فاصدع بما تؤمر ، فأخذ يجهر بها لا يخاف ألما يصيبه ، أو بلاء يلحقه ، وسفه أحلام المشركين وعاب آلهتهم ، فعرضوا على عمه أبى طالب أن يسلمه أو يكف عن دعوته فأبى .

هذا عرض موجز وعجالة سريعة أردت عرضها لتظهر فى محمد القيادة بأجلى معانيها ، وليتبين للناظر أنه كان لا بد من الحرب والصراع بين الفكرتين ، وأن

مكتبتنا العربية

القيادة الحقة هى التى ترغم هؤلاء على اتباع الجادة . وسلوك الطريق السوى ، وهى التى تستطيع أن تردهم عن غوايتهم بعد أن استمرءوا الشر ، وحلا لديهم الفساد .

وما كان ذلك بالأمر الهين ، فقد استدعى حرباً شنها على أعدائه وأقامها على معانديه غير بادىء بالعدوان : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » ، وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » .

ورغم أن محمداً لم يتلق مبادىء الحرب ونظمها ، وقواعد العسكرية وفنونها ، فى مدارس خاصة ، فإنه كان قائداً ماهراً ، نظم الجيوش وخاض بها المعارك ، وخرج منها ظافراً منتصراً ، بفضل ما سار عليه من مبادىء وما اتبعه من أساليب .

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وسأذكر بعض وقائعه شارحا فيها المبادىء العسكرية ، مستنبطاً منها القواعد والفنون الحربية . أو مطبقاً هذه المبادىء على تلك الوقائع ؛ وها هى ذى وقعة بدر الكبرى تظهر فيها المبادىء ناطقة :

مكث محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة يترقب أخبار عودة العير التى ذهب بها أبو سفيان إلى الشام ، فبعث بكشافين إلى الحوراء الواقعة على شاطىء البحر الأحمر التى لابد للعير من الوقوف بها . ولا شك أن فى بعث الكشافين استطلاعا للعدو ومعرفة أخبار عنه ، ولما عزم الرسول على الخروج لهذه العير لم يلبث أن ذاع الخبر بين سكان المدينة فنقله البعض إلى أبى سفيان فجد فى السير بحذر . وأرسل إلى قريش يعلمهم الخبر .

ويقال إن محمداً لم ينتظر عودة رسوليه بل قرر الخروج لملاقاة العدو خشية أن تفوته العير كما فاتته فى المرة الأولى ، وكأنه بهذا يريد أن يطبق مبدأ من المبادىء الحربية لها خطرها فى النصر وأثرها فى النجاح وهو مبدأ المباغتة والمفاجأة ؛ لذلك ندب المسلمين وقال لهم : هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها .

أما أبو سفيان فحين علم بخروج محمد لاعتراض قافلته ، استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وبعثه مسرعا إلى مكة ليستفز قريشاً إلى أموالهم ، ووصل ضمضم من مكة إلى بطن الوادى ، وأشعل النار ، وألهب النفوس بما صنع .

مكتبتنا العربية

فخرجت مكة وعلى رأسها أشرافها للدفاع عن تجارتها ، فكانت حملة أبي سفيان كبيرة العدد والعدد ، وخرج النبي كذلك بعد أن رتب أمور المدينة في قلة من العدد والعدد.

وهنا وقفة تتجلى فيها حكمة محمد إذ رأى أن يكشف عن روح جنوده المعنوية قبل أن تنشب المعركة ، ويعلن أوار الحرب ، فالقوم كثيرون وهم قلة - استشار الناس وأخبرهم بما بلغه من أمر قريش . فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد ابن عمرو فقال يارسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، وقال سعد الأنصاري « فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك . . . » فأشرق وجه محمد وقال « سيروا وأبشروا والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم » .

ترى من هذا أن محمداً رأى أن يختبر جنده قبل أن يلقى عدوه ، فليست العبرة بكثرة العدد ولا بوفرة العدد ، وإنما الإيمان بالفكرة والثقة بالله هما سبب النصر وسبيل النجاح .

ارتحل محمد وقومه حتى إذا كانوا على مقربة من بدر انطلق محمد على بعيره حتى وقف على شيخ من العرب وسأله عن محمد وقريش ومنه عرف أن عير قريش منه قريب .

أراد الرسول زيادة معلومات عن العدو فبعث علي بن أبي طالب مع جماعة إلى ماء بدر يتلمسون له الخبر وعادت هذه الطليعة ومعها غلامان عرف منهما أن قريشاً وراء هذا الكثيب بالعدوة القصوى ، ولما أن أجابا أنهما لا يعرفان عدة القوم سألهما محمد كم ينحرون كل يوم ؟ فأجابا يوما تسعاً ويوما عشرا ، فاستنبط النبي من ذلك أن القوم بين التسعمائة والألف وعرف كذلك أن أشراف قريش خرجوا لمنعه فقال لقومه . هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها ، إذن فلا بد له ولهم أمام قوم يزيدون عليهم في العدد ثلاثة أضعاف من أن يشحذوا عزائمهم وأن يوطنوا على الشدة أفئدتهم ونفوسهم ، وأن ينتظروا موقعة حامية الوطيس لا يكون النصر فيها إلا لمن ملأ الإيمان قلبه بالنصر .

وكتب الله النصر للمسلمين بعد قتال عنيف وفر المشركون فتعقبهم المسلمون وفي هذا تحقيق لمبدأ آخر وهو استمرار النجاح بمطاردة المنهزمين .

وبعد . فإن المتتبع لأحوال العرب وما كانوا عليه وغزوة بدر وما وقع فيها يرى أن القيادة بأسمى معانيها وأجلى صورها روحية أو عسكرية كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم .

مكتبتنا العربية

مجالات فى الأدب :

الشعر المسخر . . . !

لفضيلة الأستاذ الشيخ كامل عبد الله
المدرس بالأزهر

— ١ —

سخرت العصبية الأولى قرائح الشعراء وساقت الشعر والشعراء إلى ميادين خلقتها طبيعة البداوة

فلما أشرقت الجزيرة بنور الإسلام تلفت الشعر يريد أن يأخذ مهيعه على هدى من الوحى الجديد والحياة المهذبة المجدية على المجتمع الإنسانى .

ولكن الحياة السياسية والصراع الذى نشب حول الملك المعضود . والانتفاضة الجاهلية وتزاحم القبائل فيما فتح من زهرة البناع الخصبة . والتكالب على الغلب والسبق إلى مغانم كثيرة متناوحة كل ذلك وغيره من عوامل . بلبل على الشعراء قرائحهم وأغراهم بالتمرد على مسالك الفن الخالص للفن ، والنتاج الصادر عن وحى لم تسخره الرغبة فى المال أو الرهبة من سطوة السلطان .

وعلقت حبائل الشعراء بعجلة السياسة كما نازعتهم دواليب المجتمعات فى الدولة الأموية ، ثم العباسية ، ثم ما بعدها من دويلات أقلقتها طبائع تخضع لها الدول من ضعف وقوة ، وتلك سنة الله فى خلقه .

وما أكثر الشعراء الذين نعدهم فى مختلف أعصر الأدب ممن سخروا فنهم للفردية المترفة التى اتخذت من الشاعر معبرا للترفيه عن نفسه والتعبير عن أهوائه على حين ضيق من الشاعر أو كره من القريحة .

ولا عذر يلتمس عند المتخلفين وراء تهالك الشعراء على موائد المنادمة العباسية أو المطاردة اللاهية أو العبث القاسى فى بغداد ودمشق والقاهرة وعواصم الأندلس وكل مرتع لاه فى الحدائق وعلى متون الحراقات وحواف الشطآن .

مكتبتنا العربية

كما لا أنكر على الشعراء إجادتهم الفنية فيما عالجوا من تعبير عن حياتهم التى شاركوا فيها الخلفاء الأمويين والعباسيين ، ومن جاراهم من الأندلسيين لأنهم صدقوا ما انطوت عليه حياتهم من مشاركة خالصة دفعتهم إلى تصوير القصور وما فيها وبدائع التحف ، وجميل الصور ، وبدائع الطبيعة ، وريق المتع المبسوطة على كثب الخصب المرقش والأمواج الدافقة الخلابة .

كما لا ينكر الأدب فنا كان ملاذا للغناء ومحورا للألحان التى خلدت أثر الشاعر كما طوفت على الأسماع ورددت صداها الأوتار ترديدا أشبع العواطف ورقق الطباع وأخضعها لروح الشعر العذب المصفى من جلافة البداوة .

بيد أن أتعرض للمادحين الظالمين ممن اصطنعهم الساسة لقرض الثناء المبالغ والمديح الخارج عن حد الاعتدال فى صدق التقدير لأنه باب أتخم به الشعر العربى ولا يزال متصفح (الدواوين) يضيق بما تحمل فى طياتها من ملق وتذلل وتخاضع وإنها لصناعة خلت أيامها ، وأعتقد أن حرية الفرد وما تكفله الأيام للإنسانية لن تسمح لهذا النظم بالحياة ، أو على الأقل لن يتقبل على موائد الفن الخالد والزاد الأدبى الشهى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

والذى أتعرض له فى مجالى ، هو الشعر المسخر ، أو القريحة التى حملت على أن تسمر بما لا تحس به أو تهتف بما لا تجد له أصداء فى حناياها . وإنما أمرت أوقسرت على أن تستدنى نافراً ، أوتصف جميلا ، أوتعتذر لمنأبٍ ، أو تسرف فى جانب تمتع به خليفة وحرم منه الشاعر .

وإنا لنجد فى مروى السمر وما بث فى كتب المحاضرات طرائف تضحك وتبكى .

عباسى وسع له الحكم ، تدللت عليه جارية أوتمنعت إحدى النساء ، فراح يستنزل رضاها ، وهو بعزة الحاكم ولكنها تراوغ وتباعد بينها وبين سيدها حتى إذا ضاقت به السبل كلف كبير حجابه (رئيس وزرائه) باقتياد الشاعر وحمله على أن يقول شعراً يسترضى به الجارية ويعيدها إلى مولاها .

وهنالك يطبع الشاعر ويحمل قريحته على أن تنظم ويسير الشعر وتتدفق الهبات وينال الشاعر الحظوة ولكن الشعر يظل بارداً خالياً من صدق العاطفة .

مكتبتنا العربية

ولا أشك فى أن بعض الشعراء كان يضيق بهذا التكليف وكانت شاعريته لا تمد له فى حبل القوافى وأذكر من بينهم (عباسا بن الأحنف) الذى عاش ومات للغزل فى محجوبة لم يكشف عنها ولم تعرف إلا باسم (فوز) المستعار.

وكأنى بالندماء الساسة قد أرادوا بشاعريته المتأبية عليهم تسخيرا فوجهوا الخليفة العباسى إلى أن يكلفه فاستغلوا سلطانهم وراحوا ينتزعون ذلك العاكف على غزله فيمن أخلص لها وخلص هواه إلا لها.

ولقد ظفروا بما أرادوا وظفرت ليالى القصور بالسمر وبالشاعر ولكن الذى تمخضت عنه قريحة العباس بن الأحنف لم يزد عن نظم بارد لا إحساس فيه وسنتعرض لتحليله فى مقال تال.

ولمثل ما وقع للعباس نجد تبلبلا فى نسبة هذه الأبيات وتعدد مصادرها:

ملك الثلاث الآنسات عنانى ... وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها ... وأطيعهن وهن من عبدانى
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطانى

هذه الأبيات تقال وتنسب إلى بعض الخلفاء وفى المصادر الموثوق بها.

ولكن الذى لا خلاف عليه عندى أن مستوى هذه الأبيات لا تنهض اليه قرائح من نسبت اليهم ممن لم يوهبوا عبقرية خلابة، وإحساساً شاعريا اللهم إلا متأخرى الفردوس المفقود وإلا من يجرون فى حضرة ابن المعتز والشريف الرضى وغيرهما ممن تسنموا الذروة فى القريض وعلو النسب وكرم الأرومة:

ولا شك فى أن الشعراء غنموا من وراء تسخير قرائحهم قربى من السلطان وزلفى، بل وعطفا من الجوارى الحسان ومالا وضياعا ومتعاً استقرت بها حياتهم المادية وربما الأدبية.

* * *

وكان السلطان لا يتقبل من الشاعر إذا أراد التخلى عن ميدان القصر الشاعرى وكان الشاعر لا يجد حتى من الشيخوخة وتقدم السن ما يلتمس به العذر والتنحى عن إمداد السمر ومجالسه بما يرضى السمار والندماء.

مكتبتنا العربية

الطـــــاعة والرزق

لفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف النجار
المدرس بالأزهر

فطر الإنسان على حب نفسه وامتداحها والزهو بما يقول أو يفعل وهو إلى جانب ذلك قد يخدعه الغرور بعمله ويسيطر عليه الإعجاب بما يأتى أو يذر والفخر بالوصول إلى غايته فيحمله كل ذلك إما على أن يدعى النبوغ والذكاء وسعة الحيلة وبعد النظر وصواب الفكر ويقول — كما قال قارون من قبل حين كثر ماله وعظم سلطانه وقوى شأنه — إنما أوتيته على علم عندى.

وإما أن يربط نجاحه فى هذه الحياة الدنيا وسعة رزقه ورواج تجارته واضطراد كسبه بتكريم الله تعالى له ورضاه عنه وحبه له وإيثاره على غيره. ويربط بوار التجارة وعسر الكسب وضيق الرزق وعدم النجاح بغضب المولى جل شأنه عليه وعدم رضاه عنه وبغضه له وإهانته أمام الناس « فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ».

تلك طبيعة الإنسان وهذه فطرته. يدعى العلم والذكاء إن كان من الماديين. ويتوهم التكريم أو الإهانة من الإله إن كان من عامة المتدينين. وكلاهما قد باين الحق وترك الطريق القويم. وإنى لأتوجه بهذه الكلمة إلى ذوى الدين.

من المعلوم بداهة أن الله تعالى لم يجعل الدنيا للجزاء، وإنما هى دار العمل والابتلاء. فليس الغنى فيها لفضل صاحبه عند الله وليس الفقر لأن الفقير من العصاة، ولقد أيد الكتاب العزيز عدم الارتباط بين الطاعة والرزق فى قول الله تعالى من سورة البقرة « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ».

فهاهو ذا الكافر الجاحد يخبرنا المولى أنه سيمتعه فى هذه الدنيا التى ليست

مكتبتنا العربية

للجزاء ثم يلجئه إلى عذاب النار « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيداً ... »

وهذه آية أخرى تؤيد كذلك ما قدمناه من عدم الصلة بين الطاعة والرزق هى قوله تعالى من سورة آل عمران « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » . روى أن طائفة من المؤمنين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزلت تلك الآية وفى الحديث « يقول الله عز وجل كلا إنى لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها إنما أكرم من أكرمت بطاعتى وأهين من أهنت بمعصيتى » رواه القرطبى فى تفسيره وروى الترمذى « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » .

والمتأمل فى كتاب الله تعالى والباحث فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتردد فى الاطمئنان إلى أنه لا علاقة للرزق بالطاعة . فهذا هو القرآن يصور الإنسان حين تقبل عليه الدنيا وحين تدبر عنه الدنيا ويفرق فى تصويره بين الإنسان فى أدنى درجات الإنسانية وبين الإنسان فى أسمى درجات الإنسانية فيقول — من سورة المعارج —

« إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين ، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم بشهاداتهم قائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك فى جنات مكرمون » .

فليس الجزع عند الشر إلا نتيجة الألم الذى يحسه ضعيف الإيمان وليس المنع عند الخير إلا لأنه يتوهم أن الله تعالى خصه بهذا الخير ، ولكن المؤمن الصادق هو ما ذكره الله مبيناً أوصافه مخبرا عن جزائه فى الآخرة .

وقصارى القول إن الدنيا دار عمل وابتلاء والآخرة دار حساب وجزاء « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون » .

مكتبتنا العربية

فمن الخير إذا مقابلة النعمة بالشكر عليها وما شكر النعمة إلا بتوجيهها الوجهة التى تلائم الشرع ولاتتنافى مع ما أمر الله تعالى به . ومن الخير كذلك أن يصبر الإنسان إذا أصابه شر فتظل بذلك حال المؤمن بين شكر وصبر وإن له فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

ومن الخير أن يتأمل المرء إلى جانب ما تقدم قول الله الكريم « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جزراً » فهذه آية توضح فى إيجاز لذات الحياة ومتعها ، وتوضح نهايتها وأن كل ذلك ليس إلا للابتلاء ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . وإن شئت بعد ذلك أن تقرأ حجة ساطعة فى هذا الموضوع وآية دامغة لمن يربط بين الرزق والطاعة وكلمات بينات تصور الحياة تصويراً لا لبس فيه ولا إبهام فاقرأ قوله تعالى من سورة الحديد « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد . كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما . وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

فأنت ترى كيف أجمل الله تعالى شأن الحياة الدنيا فى أمور خمسة هى : اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر ، أما الآخرة فهى دار العذاب للأشقياء ، ودار النعيم للسعداء ثم ختم الآية بما يتناسب مع بدئها فقال « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

فالمصائب فى هذه الحياة والشدائد التى تلم بالناس ليست إلا سنة الله فى خلقه إذ أنه تعالى يبلوهم بالشر والخير فتنة وإليه يرجعون .

والآن وقد تبين لنا أنه لاارتباط بين الرزق والطاعة وأن زخرف هذه الحياة إلى نهاية فجدير بالعاقل أن يجعل همه مرضاة الله ولا يتخذ إلهه هواه وليتق الله مولاه وليجعل رائده ذلك القول الكريم من كتاب رب العالمين « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » ؟

مكتبتنا العربية

صلح الحديبية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد المدنى
المدرس بالأزهر

[٢]

لما علمت قريش بأن أصحاب محمد بايعوه عند الشجرة على القتال ، وأنهم بلوا حربهم فى المرات السابقة رغم قلة عددهم ، وذاقوا الموت على يديهم وأن ضآلة عديدهم لن تفت فى عضدهم فأطلقوا سراح عثمان بن عفان ، وأرسلوا للمصطفى سهيل ابن عمرو ليفاوضه فى الصلح ، ولما كانت الدعوة التى يشرف على نشرها وتدعيمها إنما تهدف إلى بث الطمأنينة فى النفوس ، رضى بالصلح وقال : لما رأى سهيلا مقبلا أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل إلى الرسول جثا على ركبتيه بين يديه والمسلمون حوله جلوس ، فتكلم وأطال . وقد قال له المصطفى « تخلو بيننا وبين البيت فنطوف به » فقال سهيل « والله لا تتحدث العرب بنا أنا أخذنا ضغطه ولكن ذلك من العام القابل » ثم التأم الأمر بينهما على الصلح . واتفقا على ترك القتال بينهما لمدة عشر سنين ، وأن يعودا من قابل للحج والاعتمار على ألا يحملوا معهم من السلاح غير السيوف فى قرابها ، وأن من جاء من قريش إليهم من غير إذن وليه أرجعه المسلمون . وأن من جاء من المسلمين إلى قريش لا تلزم برده ، وأن من دخل فى حلف المسلمين له ذلك ، ومن دخل فى حلف قريش له ذلك ، ولم يبق إلا الكتاب ، هنالك وثب سيدنا عمر إلى النبى فقال له يا رسول الله ، ألست برسول الله وألسنا بالمسلمين ؟ فقال النبى « بلى » فقال عمر « فعلام نعطى الدنية فى ديننا » فقال النبى « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى » فقال عمر « أولست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ فقال النبى « بلى أفأخبرتك أنا نأتيه هذا العام » فقال عمر « لا » فقال النبى « إنك آتيه ومطوف به » .

ثم نادى علياً ليكتب شروط الصلح ، فلما أخذ فى الكتابة أمره صلى الله عليه وسلم أن يكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف الرحمن الرحيم ،

مكتبتنا العربية

أكتب باسمك اللهم فوافق النبي ثم قال له اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل أمسك لو كنت أعتقد أنك رسول الله ما قاتلتك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فوافق النبي ، ولما لم يوافق المسلمون محاها بيده الشريفة وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيلا لأن المصطفى كان لا يعير هذه التوافه من الأمور اهتماماً ، إذ هو داعية الخير ورسول الرحمة والداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذى وصفه رب العزة والجلال خير وصف « الرؤوف الرحيم » . وما كاد يجف مداد الكتابة حتى قدم أبو جندل بن سهيل فاراً من قريش ، ومن العذاب الواقع عليه بسبب إسلامه . والمسلمون يضجون من شروط الصلح التي يرون أنها ليست فى صالحهم ، وقد زادهم ألماً وثورة - وإن كانت مكبوتة - رؤية آثار التعذيب على جسم أبى جندل ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً لأنهم يعلمون أنهم قد أعطوا الكلمة فما لهم ألا ينقضوا ما أبرموه . ثم التفت النبي إلى أبى جندل وقال « يا أبا جندل أصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا ، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وأنا لا نغدر بهم » .

ونادى مناد من قبل الرسول بالتحلل من الإحرام بالذبح والحلق أو التقصير ، ولكن عمر كانت ثورته لم تخمد بعد ، فحدث أبا بكر بما حدث به المصطفى ، وبنفس الحمية التى عهدت عنه ، فأجابه أبو بكر يا عمر « إلزم مكانك فإنى أشهد أنه رسول الله وليس يعصى ربه ، وهو ناصره استمسك بغرزه حتى تموت » . قال عمر « وأنا أشهد أنه رسول الله » . فتباطأ بعض الصحابة فى تنفيذ أمر التحلل لما كانوا يجدونه فى أنفسهم من غضاضة شروط الصلح . فدخل المصطفى خباءه وهو غاضب ، فسألته أم سلمة رضى الله عنها عن غضبه فقال لها « هلك المسلمون أمرتهم فلم يطيعوا » فقالت له يا رسول الله أنك تعلم نفوس أصحابك ، وتشوفهم إلى إعلاء كلمة الله ولو ضاعت أرواحهم ، وإنهم ليستهينون بالموت فى سبيل نصرة دينك . اخرج إليهم فاذبح واحلق وسيفعل الجميع . عند ذلك خرج المصطفى ومعه حربة فأهوى بها على البدن وهو يقول باسم الله الرحمن الرحيم ثم دخل إلى قبة له من أدم أحمر ودعا بحراش فحلق رأسه الشريفة ورمى بشعره فوق شجرة ، فأخذه الناس وتقاصوه وتحللوا من أحرامهم جميعاً ، وبذلك انتهى الأمر ورضى المصطفى .

مكتبتنا العربية

ثم دعا إلى الرحيل وبيناهم فى الطريق بين مكة والمدينة إذا بالوحى ينزل عليه بسورة الفتح .

فكان ما ظنه المسلمون صلحاً مهيناً نصراً مبيناً ، ودعا المصطفى عمر ليقرأ عليه ما نزل ويقول عمر لقد كنت خائفاً من أن يلومنى على موقفى . فلما قدمت عليه قرأ على السورة ، ففرحت وأيقنت كما أيقن المسلمون جميعاً أن الله ناصر عبده وناشر دينه ، وأن من كان الله وليه فلن يخذله أحد ، وما النصر إلا من عند الله ، يعطيه المخلصين من عباده الصادقين فى دعوته . الباذلين أرواحهم وما يملكون فى سبيل إعلاء كلمته ، وتحقيق شرعته ، ومن أحق بهذا النصر من حبيب الرحمن ، وعصبته الذين رضى الله عنهم حين بايعوه تحت الشجرة ، فأرضاهم وردهم إلى المدينة والعناية الربانية تحوطهم . والرعاية الصمدانية تكلؤهم ؟

ولقد كان هذا الصلح فاتحة خير للمسلمين ، ونصراً ورعاية من رب العالمين . إذ ما كاد يشيع أمر وقف القتال بين القبائل العربية حتى كشفت خزاعة عن نيتها ودخلت فى حلف الرسول وزال الحاجز الذى كان يفصل بين المسلمين وكثير من القبائل فاختلطوا بهم ، ووقفوا على سماحة الإسلام وسمو أخلاق الصحابة ، وناقشوا تعاليم الإسلام فى هدوء واطمئنان ، وبهذا الاختلاط زالت غشاوة بغض النبى عن أعينهم ، وأيقنوا أنه ما جاء لقطع صلاتهم أو التفريق بينهم ولمسوا ما عليه المصطفى من خلق عظيم يرتفع إلى الذروة ، وأنهم كانوا ضحية دعاوى كاذبة مضللة ، وتكشفت تلك العظمة الإلهية التى جمل بها مصطفاه من تواضع جم وحب للخير ، وحدب ونبل وحلم يسع الجميع ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

هذه صورة صادقة لما فى الإسلام من سماحة تنفذ إلى القلوب بالرغم عنها وقد تنبه الناس إن طواعية أو كرهاً إلى أن تعاليم الإسلام هى التى يجب أن تسود العالم كله ، ولن تقف فى طريقها تلك العقبات التى يقيمها الغربيون . وخصوصاً المستعمرين لأن هذه الإحن التى يجتازها العالم الآن من بلبلة الخواطر ، وتقلقل النفوس ، وعدم الاستقرار فى جميع مرافق الحياة ، كلها سترغم الكل على النظر فى تعاليم الإسلام نظرة تكشف لهم وجه الحقيقة ، وتسفر لهم عن حياة كلها دعة وسعادة ، وأمن واستقرار فى ظل تعاليمه السامية ، وتشريعاته الإلهية وذلك اليوم قريب إن شاء الله .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء السابع ـ المجلد الثالث والعشرون

الموضوع	بقلم	صفحة
تفسير سورة البقرة	« فضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن ...	٥٧١
مبادىء القانون الدولى العام ...	« « « محمد عبد الله دراز ...	٥٧٧
ورع المتقين	« « « محمد عبد التواب ...	٥٨١
بهاء الدين السبكى	« « « عبد الله المراغى ...	٥٨٥
لغويات	« « « محمد النجار	٥٨٨
الشعر والحروب الصليبية ...	« « « رياض هلال ...	٥٩٢
النقد الأدبى عند العرب	« « « عبد الحميد المسلوت ...	٥٩٧
الوسائل والغايات	« « « بدر المتولى عبد الباسط	٦٠٣
تعبئة الأمة الإسلامية	« « « محمود فياض	٦٠٦
الدين الهادى	« حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران	٦١٢
يفلح ـ لا يفلح	« « « السيد حسن القاياتى ...	٦١٧
دعبل الخزاعى	« فضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى ...	٦١٨
فى تفسير القرآن الكريم	« « « عبد الغنى عوض الراجحى	٦٢١
كتبية الأهوال	« « « ابراهيم على شعوط ...	٦٢٥
زهد الرعاة	« « « محمد محمد خليفة	٦٢٩
جامعة إسلامية	« منقولة عن جريدة النيمس	٦٣٣
ضوء على حياة الطالب بالأزهر	« « « محمد الغزالى	٦٣٧
آداب السلوك	« « « ابراهيم أبو الخشب ...	٦٤٠
المعاهدة الغادرة	« « « السيد شريف	٦٤٣
نونية ابن زيدون	« « « حسن جاد	٦٤٦
الإسراء والمعراج	« « « أحمد شفيع السيد ...	٦٥٠
جامع الملك الظاهر بيبرس ...	« « « محمد صبرى عابدين ...	٦٥١
الرسول والقيادة	« « « حسن حسن حنبل ...	٦٥٣
الشعر المسخر	« « « كامل عجلان	٦٥٧
الطاعة والرزق	« « « يوسف النجار	٦٥٦
صلح الحديبية	« « « محمود محمد المدنى ...	٦٦٢

مكتبتنا العربية

مجلة الازهر فى طورها الجديد

تحتجب المجلة عن حضرات المشتركين فى شهر شعبان المقبل تمهيداً لإصدارها فى نظام جديد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الإدارة